الثقافة

AL-THAQAFA

الإدارة : ٩ شارع السكرباس عابدين — القاهرة — تليفون رقم : ٥٩٩٩٠ ، ٥٦٧٦٠

العدد ٢٦٩ | الثلاثاء ٢٧ من صفر سنة ١٣٦٣ — ٢٢ من فبراير سنة ١٩٤٤ | السنة السادسة

فهرس العـــــــدد

المؤتمر الزراعي

انعقد بالقاهرة من ٧ فبراير سنة ١٩٤٤ إلى ١٠ منه مؤتمر للزراعة دعا إليه ونظمه مركز تموين الشرق الأوسط (M. E. S. C)[1] بعد الاتفاق مع الحكومة المصرية ، وقد حضره مندوبون البلدان الآتية : عدن ، وقبرص ، ومصر ، والعراق ، ولبنان ، وفلسطين ، والمملكة العربية السعودية ، والسودان ، والشام ، وشرق الأردن ؛ كما مثلت فيه الهيئات الآتية : مركز تموين الشرق الأوسط ، والبعثة العلمية الاستشارية لشرق الأوسط ، والهيئة المنوطة بالتقدم الزراعي بمركز تموين الشرق الأوسط ، وممثلو هذا المركز في بعض البلدان الأخرى ، وقد مثل كل هيئة من هذه الهيئات ، وبلدة من تلك البلاد ممثلون يختلف عددهم من واحد إلى ستة أو أكثر .

كما حضر المؤتمر أعضاء زائرون من شرق أفريقية ، ومصر نفسها ، ومن العراق ، وفلسطين ، ومؤسسة الشرق الأدنى .

ومثل في المؤتمر كذلك السفارة البريطانية بالقاهرة ومكتب الوزير الإنجليزي المقيم بالشرق الأوسط والسفارة الأمريكية بالقاهرة والإدارة الاقتصادية الخارجية للولايات المتحدة وإدارة الإغاثة والتعمير للأمم المتحدة .

ومن أهم الهيئات المذكورة فيما مضى هيئة التقدم الزراعي بمركز تموين الشرق الأدنى ، والبعثة العلمية الاستشارية ، فهما يضمان خبراء زراعيين عالميين ، واختصاصيين نابهين في مختلف الموضوعات العلمية المتصلة بالزراعة بوجه عام وبالتموين بوجه خاص ، وأعضاء الهيئتين يتنقل بعضهم باستمرار ويتنقلون من بلد إلى بلد فيدرس كل منهم الموضوع المتصل باختصاصه دراسة مستفيضة في كل بلد يزوره ، ثم يتباحث مع زملائه في المركز ويقدم تقريره

(١) Middle East Supply Centre .

قبل سفره ليحل محله غيره ، وهكذا .

وكان من بين هؤلاء الدكتور كين وكيل محطة روغستيد للأبحاث الزراعية في لندن وهي أقدم المحطات الزراعية للبحوث الفنية في أوربا . وقد أذاع الدكتور كين من محطة الإذاعة المصرية كلمة عن هذا المؤتمر مساء الأحد ٣ الجاري .

وكان للمؤتمر رئيسان هما اللورد موين الوزير البريطاني المقيم في الشرق الأدنى ، والمستر لاندس الوزير الأمريكي مدير العمليات الاقتصادية الأمريكية في الشرق الأوسط . كان ينتخب لكل جلسة رئيس آخر غير الرئيس الفني ، فترأس معالي وزير الزراعة إحدى الجلسات ، وسعادة وكيلها جلسة أخرى ، ورئيس وفد العراق ثالثة ، ورئيس وفد الشام رابعة ؛ وهكذا .

ولعله من المفيد قبل أن نتكلم من المؤتمر نفسه وما جرى فيه أن نشير بكلمة قصيرة إلى الهيئة الداعية إليه ، المنظمة له :

***

مركز تموين الشرق الأوسط :

أسس هذا المركز في سنة ١٩٤١ ، لما وجد الحلفاء أنفسهم في مأزق في كل ما يتصل بالشحن والتموين لبلاد الشرق الأوسط وللجيوش الجرارة التي لهم فيها ، فشعروا بأنه لابد من وجود هيئة منظمة لهذين الأمرين وهما : الشحن والتموين ، حتى تستطيع الجيوش أن تضمن وصول الامدادات من الرجال والآلات والذخائر والأطعمة ، وتحصل بلاد الشرق الأوسط أيضا على الضروريات اللازمة لها بكيفية منظمة وبنهاية الاقتصاد .

وقد كان المركز في مبدإ الأمر منشأة بريطانية ملحقة بالقيادة العامة للجيش البريطاني ، فلما دخلت أمريكا الحرب صار المركز إنجليزيا أمريكيا ، فهو الآن منشأة تضامن بين الإنجليز والأمريكان ، يتبع سياسة مشتركة ، ويتألف هيئة الموظفين فيه من البريطانيين والأمريكان يعملون جنبا إلى جنب في جميع أقسامه .

أما الأغراض التي يرمي إليها المركز والوظائف الرئيسية التي يقوم بها فيمكن تلخيصها فيما يلي :

أولا : إنماء الإنتاج المحلي للأطعمة الضرورية والمواد اللازمة للشرق الأوسط بالتعاون مع الحكومات المحلية لجميع بلاد هذا الشرق الأوسط ، وبذلك يقل الطلب على استيراد الأطعمة والمواد الخام بواسطة الشحن من الأماكن النائية ، ويدخل في ذلك تشجيع استخدام المواد الموجودة محليا بدلا من مواد مناظرة لها كانت تستورد من الخارج وضمان استيراد المواد الضرورية من أقرب مصدر لها .

ثانيا : عمل المباحث اللازمة للتأكد من أن طلبات الاستيراد للبضائع المدنية للشرق الأوسط تقتصر على الضروريات وحدها ، وبذل كل الجهد لضمان وصول تلك الحاجيات الضرورية إلى طالبيها . وذلك بتنظيم توزيع منتجات الأطعمة والمواد في جميع أنحاء العالم توزيعا يتفق مع تقليل الشحن إلى أدنى حد ممكن .

ثالثا : مساعدة حكومات الشرق الأوسط في ضبط ومراقبة التوزيع بحيث تستخدم المواد المستوردة في أحسن الأغراض وأنفعها ، وضمان استخدام المنتجات المحلية من المواد ، واستخدام الطاقة البشرية استخداما اقتصاديا موجها نحو إنتاج الضروريات قبل كل شيء .

رابعا : إيجاد مركز لتبادل المعلومات بشأن جميع المسائل الخاصة بالإنتاج الزراعي والصناعي والتوزيع والاقتصاديات بوجه عام ، والعمل على إيجاد خبراء فنيين يستطيعون إسداء النصيحة وبذل المشورة فيما يتعلق بجميع تلك المسائل .

وقد استطاع هذا المركز الرئيسي أن يحقق كثيراً من أغراضه ، وأن يوفر كثيراً من الحيز النافع لشحن المواد ، وأن يحقق توفر الأطعمة ، والمواد الخام ، والأدوات الصحية ، ومطالب التنقل من سيارات وإطارات وأدوات تقويم الخ ، وغير ذلك كله من لوازم التموين . كما استطاع أن يقوم بأعمال جليلة لازمة للزراعة والصناعة ، كل ذلك بالتعاون مع الحكومات المحلية .

وليس هذا المؤتمر الزراعي أول مؤتمر عقده مركز تموين الشرق الأوسط ، ففي سنة ١٩٤٢ عقد مؤتمراً لبحث وسائل جمع الحبوب . وفي سنة ١٩٤٣ عقد مؤتمراً [illegible] تمرض ، كما عقد مؤتمرات خاصة بالنقل ومقاومة الجراد ، وتوزيع الأطعمة ، والإحصاءات . وفي يناير سنة ١٩٤٣ أيضاً عقد مؤتمر الزراعة . فالمؤتمر الذي نحن بصدده هو المؤتمر الثاني الذي يعقده لبحث المسائل الزراعية وما يتصل بها .

* * *

ـات المؤتمر وبحوثه :

عقد المؤتمر ست جلسات بحث في الجلسة الأولى منها مسائل الزراعة الجافة ، ومسائل الري والصرف ، فتكلم محمد خيري بك في ضبط الري والصرف بوادي النيل ، والميجر جبوز ممثل مركز التموين في بيروت عن التقدم الحديث في الري في دول شرق البحر الأبيض المتوسط ، والدكتور ريبورن مهندس المياه بقبرص عن إعادة [illegible] المياه الصغيرة وحفظها . وقرأ أحد الفنيين الزراعيين بفلسطين بحثاً للمستر ستيمان ديغز مراقب الإنتاج الزراعي [illegible] بها عن الري من الآبار والينابيع ، وتكلم الأستاذ أدبسون من كلية الهندسة بمصر عن بعض المسائل العامة الإيدروليكية ، وتكلم الدكتور عارف من هيئة التقدم الزراعي بمركز التموين عن الوسائل الفنية للزراعة الجافة ، والمستر لو عن الزراعة الجافة بمنطقة بير شبع بفلسطين ، والدكتور محمد بهجت عن الزراعة الجافة بمنطقة مريوط بمصر ، والمستر هارتلي عن طرق الزراعة الجافة بعدن .

أما الجلسة الثانية ، فقد خصصت لإصلاح وإعداد الأراضي الجديدة تكلم فيها محمود حلمي بك عن إصلاح البراري في شمال الدلتا ، والمستر بيلي عن بعض المصاعب التي تعترض إصلاح الأراضي (مثل من جنوب إيران) ، والمستر جاريت عن الإنتاج على نطاق واسع في وادي الفرات ، والمستر هوبلر عن نمو الفلاحة على نطاق واسع في المنطقة الشمالية للجزيرة بالشام ، وسعادة محمود يوسف باشا عن الزراعة المجهدة في الأراضي الرملية المستصلحة .

أما الجلسة الثالثة فقد خصصت لمشاكل التربة وحفظها ، وكانت البحوث التي تليت فيها معظمها خاص بقبرص وفلسطين وشرق أفريقيا والشرق الأوسط بوجه عام .

وخصصت الجلسة الرابعة لتحسين الفن الزراعي عن طريق البحث والتعليم ، فتكلم مندوب العراق عن إعداد الموظفين الزراعيين هناك ، والأستاذ الأزاري [illegible] مدير محطة ريهوفوت للبحوث الزراعية بفلسطين عن الأعمال التي تجري في تلك المحطة ، والدكتور بولز كبير الفنيين في القطن بمجلس المباحث القطنية بمصر عن التطبيق العملي للبحوث الزراعية . وقرأ المستر ألن بحث الرائس دودج عن معهد الحياة الريفية في بيروت ، كما تكلم الدكتور أحمد حسين عن التحسينات الاجتماعية الريفية ، وسعادة حسين عنان بك عن التحسينات الزراعية الريفية بمصر .

أما الجلسة الخامسة ، فقد خصصت لبعض المسائل الحيوية ، وكانت معظم البحوث التي ألقيت فيها متصلة بشرق الأردن وفلسطين ، وكان ختامها بحثان ، أولهما : للدكتور علي حسن عن تحسين معايير التغذية في الشرق الأوسط ، وثانيهما : للدكتور صبري مدير قسم الأطعمة بمركز تموين الشرق الأوسط عن العصبة الزراعية لبلدان الشرق الأوسط .

وخصصت الجلسة السادسة للمناقشات وبحث القرارات .

وهناك محاضرة قيمة لم تكن في البرنامج ، وإنما تليت بناء على رغبة معالي وزير الصحة ألقاها الأستاذ الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك عن الملاريا وأثرها في بلدان الصعيد المصابة بها ، وتناول فيها حالة الأهلين هناك وما يعانونه من جوع راجع إلى فقرهم المدقع .

* * *

هذه كلمة عابرة عن المؤتمر وفكرته والمواضيع التي تناولها بالبحث ، ولعلنا نستطيع في فرصة أخرى أن نوافي

زعماء الإصلاح الإسلامي في القرن التاسع عشر :

٦ – جمال الدين الأفغاني

ما تعاليم السيد في كلمة ؟ وما أغراضه في جملة ؟

يقول لوثروب ستودارت الأمريكي Lothrop Stoddard

« إن خلاصة تعاليم جمال الدين تنحصر في أن الغرب مناهض الشرق ، والروح الصليبية لم تبرح كمنة في الصدور كما كانت في قلب بطرس الناسك ، ولم يزل التعصب كامناً في عناصرها ، وهي تحاول بكل الوسائل القضاء على كل حركة يحاولها المسلمون للإصلاح والنهضة .

ومن أجل هذا يجب على العالم الإسلامي أن يجد لدفع الهجوم عليه ليستطيع الذود عن كيانه ، ولا سبيل إلى ذلك إلا باكتناه أسباب تقدم الغرب والوقوف على عوامل تفوقه ومقدرته » .

ويقول : « جولد زيهر » إن جمال الدين كان شخصية يرى براون – فيلسوفاً ، كاتباً ، خطيباً ، صحفياً ؛ وفوق ذلك كان سياسياً ، يرى فيه محبوه وطنياً كبيراً ، وخصومه مهيجاً خطيراً ؛ وكان له أثر بالغ في الحركات الثورية التي حدثت في عشرات السنين الأخيرة في الحكومات الإسلامية ، وكان يرمي إلى تحرير الممالك الإسلامية من السيطرة الأوروبية وإنقاذها من الاستغلال الأجنبي وإلى ترقية شئونها الداخلية بالإدارات الحرة المنظمة ؛ كان يرمي إلى جامعة تنتظم الحكومات الإسلامية ، ومنها إيران الشيعية ، لتتمكن بهذا الاتحاد من منع التدخل الأوروبي في شؤونها » .

ويقول السيد جمال الدين عن نفسه : « لقد جمعت ما تفرق من الفكر ، ولممت شعث التصور ، ونظرت إلى الشرق وأهله فاستوقفني الأفغان وهي أول أرض مس جسمي ترابها ، ثم الهند وفيها تثقف عقلي ، فإيران بحكم الجوار والروابط ، فجزيرة العرب ، من حجاز هو مهبط الوحي ومن يمن وتبابعتها ، ونجد ، والعراق ، وبغداد وهارونها ومأمونها ، والشام ودهاة الأمويين فيها ، والأندلس وحمرائها ؛ وهكذا كل صقع ودولة من دول

القراء عن بعض البحوث التي ألقيت في هذا المؤتمر .

على أننا يمكننا أن نستخلص من البحث الأخير للدكتور صبري ومن الكلمة التي ألقاها الدكتور كين والتي قال فيها : « إن بلاد الشرق الأوسط تمثل وحدة قائمة بذاتها لما بينها من أوجه شبه كثيرة في اللغة والعادات والجو وقلة الأمطار وقلة استعمال الآلات الزراعية بالقياس إلى أوربا وأمريكا ، وبفقر الفلاح ونشاطه وتشابه حالته الصحية والاجتماعية » . نستخلص أن كل ذلك يجعل من تلك البلاد وحدة زراعية يصح أن تكون أساساً لعصبة أمم شرقية .

ونحسب أنه على هذا الأساس قد وصل المؤتمر إلى أهم قرار اتخذه وهو تأليف مجلس دائم يمثل أمم الشرق الأوسط يكون ممثلاً للرأي الزراعي أو الآراء الزراعية التي تنتهي إليها تجارب تلك الأمم الشرقية فرادى ومجتمعة بواسطة مندوبيها ، وقد تألف هذا المجلس من رؤساء المندوبين لكل دولة من الدول الممثلة في المؤتمر .

ولعل هذا الاتصال والتضامن يؤدي في النهاية إلى تعاون فعلي بواسطة معهد أو معاهد تتركز فيها البحوث وتمد فيها طبقات الوطنيين الفنيين في مختلف نواحي الزراعة لتلك البلاد كلها .

وبعد فلا شك في أن مصر تستطيع أن تفيد وتستفيد فوائد كبرى من مثل هذه الحركة إذا أحسنت استغلالها وأحكمت خطواتها التي ستخطوها في سبيل ذلك الاتحاد الزراعي المنشود .

***

الإسلام وما آل إليه أمرهم ، «فالشرق الشرق خصصت جهاز دماغى لتشخيص دائه ، وتحرى دوائه ، فوجدت أقتل أدوائه داء انقسام أهله وتشتت آرائهم واختلافهم على الاتحاد واتحادهم على الاختلاف (فعملت على توحيد كلمتهم وتنبيههم للخطر الغربى المحدق بهم) » .

ويقول الشيخ محمد عبده : «أما مقصده السياسى الذى وجه إليه كل أفكاره ، وأخذ على نفسه السعى إليه مدة حياته — وكل ما أصابه من البلاء أصابه فى سبيله — فهو إنهاض دولة إسلامية من ضعفها ، وتنبيهها للقيام على شئونها حتى تلحق الأمة بالأمم العزيزة ، والدولة بالدول القوية ، فيعود للإسلام شأنه ، وللدين الحنيف مجده ، ويدخل فى هذا تقليص ظل بريطانيا فى الأقطار الشرقية» .

فيكادون كلهم يجمعون على أن له غرضين واضحين :

(١) بث الروح فى الشرق حتى ينهض بثقافته وعلمه وتربيته وصفاء دينه ، وتنقية عقيدته من الخرافات ، وأخلاقه مما تراكم عليها ، وا[illegible] .

(٢) مناهضة الاحتلال الأجنبى حتى تعود الأقطار الشرقية إلى استقلالها مرتبطة بروابط على نحو ما ؛ لتتقى الأخطار المحدقة بها .

كان فى حياته يعمل فى هذين الهدفين معاً ، فلما مات تفرق الهدفان وتناول المصلحون بعدُ كل واحد منهما — هذا أو ذاك — لا على كليهما معاً . فالشيخ محمد عبده — مثلا — أكبر تلاميذه وأقدرهم — خلفه فى حمل العبء الثقافى لا السياسى . لقد تبين بعدُ أن اشتغاله بالسياسة فى العروة الوثقى ونحوها إنما كان مدفوعا إليه بطلب جمال الدين لا بطبعه هو ، ولذلك اقترح عليه بدل إنشاء الجريدة إنشاء مدرسة للزعماء كما تقدم . فلما استقل بنفسه كان عمله فى بيروت عملا تعليميا صرفا ، ولما عاد إلى مصر كان برنامجه التعليم والتثقيف أوسع ما يستطيع وأتمه ؛ ولذلك اقترح على أولى الأمر بعد عودته أن يعين ناظراً لدار العلوم أو أستاذا فيها ، فخشوا من اتصاله بالتلاميذ لتاريخه الماضى ، وعينوه قاضيا أهليا ليكونوا بمأمن من جانبه . بل رأيناه يلعن فى كتاباته السياسة وحروفها ومشتقاتها كراهية لها . بل رأيناه يصرح بأن الواجب الأول على المصلح تثقيف الشعب وتهذيبه ، ثم الاستقلال يكون النتيجة . بل رأيناه يضع خطة إصلاحه بأن يتعاون مع الإنجليز ويصادقهم ويتفاهم معهم لينال منهم — بأقصى ما يستطيع — إعانته فيما ينشده من إصلاح داخلى تثقيفى . وهذا سبب ما كان بينه وبين «مصطفى كامل» والحزب الوطنى من خصومة ؛ بل ربما كان هذا سببا أيضا فيما نلاحظه من بعض الفتور فى العلاقة بينه وبين أستاذه السيد جمال الدين . فقد كتب من مصر للسيد — وهو فى الآستانة — خطابا ملأه من الألغاز وتلميحا لبعض الأشخاص من غير ذكر أسمائهم ؛ فهاج السيد وكتب إلى الشيخ محمد عبده جوابا من نار على هذا الموضوع ، ينعى فيه على الجبن والخوف ، ويقول : «[illegible] وتعقد الألغاز ؟ . . . أمامك الموت [illegible] . . . فكن فيلسوفا يرى العالم ألعوبة ولا تكن صبيا هلوعا» . ولعل هذا آخر ما كان بينهما من تواصل .

وما كان بالشيخ محمد عبده من جبن ، ولكن الجسم الملتهب يشعر بالجسم المعتدل برداً ، وقد كتب السيد جوابه هذا وقد ملكته الحدة ، وكم ملكته .

على كل حال اختط الشيخ محمد عبده لنفسه خطة اقتنع بها كل الاقتناع ، وهى دفع أحد الهدفين دون الثانى ، فأخلص لمدته وبذل فى ذلك جهده وصحته وعقله وماله ، واتجه إلى كل نواحى الثقافة يهذبها وينميها ويصلحها بقدر ما يستطيع إنسان أن يعمل ، مع ما يوضع فى سبيله من عقبات من الخديوى ومن الجامدين من رجال الدين ، ومن دسائس الدساسين ؛ فكانت حياته موزعة بين الإشراف على التعليم فى مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية ، وإصلاح

الأزهر ودرسه التفسير فيه ، وتأليف جزء « عم » لناشئة المدارس ، وجده في إصلاح الأوقاف والمساجد ، وتحريره المقالات في مجلة المنار لتثقيف العقل وهدايته إلى فهم الدين ، ورده على مهاجمي الإسلام كما فعل في رده على هانوتو رداً حاراً قوياً بأحر وأقوى من رد السيد جمال الدين على رينان ، وسفره إلى تونس والجزائر يحاضر في إصلاح العقيدة الدينية وإصلاح الطرق التعليمية وهكذا . كل ذلك في حدود خطته التي رسمها والتي رآها أوفق لنفسه ، وكل ميسر لما خلق له .

أما الذين رفعوا العلم الآخر — علم مناهضة الحكم الأجنبي — فهو عبد الله نديم ، ثم مصطفى كامل ، وفريد ، ثم سعد زغلول فساروا على مثل دعوة السيد جمال الدين ، مستخدمين ما استجد من أساليب ، وما استحدثه الغرب من وسائل .

هذا في مصر ومثله في سائر أقطار الشرق ، من زعماء حملوا لواء الإصلاح الثقافي ، وزعماء حملوا اللواء السياسي مما يطول ذكره — وقد نعرض فيما نكتب لبعضه .

ولو انتبه «السيد» اليوم من رقدته لحيى من الشرق نهضته ، وإن كان أكبر الظن أنه يجد عليه لبطئه ، فقد كان — رحمه الله — حاراً حاد المزاج لا يرضيه من الإصلاح السير على الأقدام ولا ركوب القطارات ، بل لا يرضيه بعض الرضا إلا ركوب الطائرات وحرب الدبابات . يقول الشيخ محمد عبده في وصفه : « إنه طموح إلى مقصده السياسي ، إذا لاحت له بارقة منه تعجل السير للوصول إليه ؛ وكثيراً ما كان التعجل علة الحرمان . . . وهو شجاع مقدام لا يهاب الموت كأنه لا يعرفه ، إلا أنه حديد المزاج ؛ وكثيراً ما هدمت الحدة ما رفعته الفطنة » .

ثم كان أشبه الناس في سياسته بعلي لا بمعاوية ، كانت سياسة معاوية عنوانها : « إنا لا نصل إلى الحق إلا بالخوض في كثير من الباطل » . أما « علي » فلا يريد الخوض في الباطل ليصل إلى الحق ، بل لا يريد إلا الحق من طريق الحق ، وإلا فلا كان . وهكذا كان جمال الدين . قال الشيخ محمد عبده : « ماذا كان يضر السيد لو مهد لإصلاحه — وهو في الآستانة — بالسعي عند السلطان في إعطاء أبي الهدى الصيادي خمسمائة جنيه ونيشان لابنه أو لأخيه ، فإذا رأى أبو الهدى أن «السيد» يخدمه فإما أن يواتيه ، وإما ألا يناويه » ولكن أبى للسيد أن يطلب هذا الباطل وهو يعتقد أن أبا الهدى سافل دنى ، إذا طلب له شيئاً فالشنق .

ولما كان السيد يحكي لخاصته اقناعه للسلطان بأن حادثة الخديو عباس دسيسة ، وأن السلطان اقتنع بذلك ، وأخبر أن هذا من دسائس أبي الهدى ، قال له عبد الله نديم : ليتك عند ما صرح السلطان بذلك ذكرت له دسائسه وضرره ، فغضب عند ذلك جمال الدين ، وقال : « أعوذ بالله أن أكون من المنافقين ، أو أن أفعل ما أنكره على الغير ، أو أن أكون همازاً مشاء بنميم » .

وهكذا يريد الحق غاية ، ويريد الحق وسيلة ، والدنيا عنده أن سياسة معاوية هي التي نجحت ، وأن سياسة الدنيا تقوم على المسالمة وأخذ شيء بترك شيء . فمن أراد الحق كاملاً وإلا لا فلينشد ذلك في المثل الأعلى للخلق لا في السياسة ، أو فلينتظر حتى تخضع السياسة للخلق .

* * *

بقيت مسألة هامة في تاريخ السيد ، وهو اتهامه بالإلحاد — وقد أشرنا إليها في مقال سابق . ولرمي السيد بالإلحاد تاريخ طويل ، فقد رمي به في الآستانة عند زيارته لها أول مرة ، فقد خطب في دار الفنون خطبة ذكر فيها أن المعيشة الإنسانية أشبه شيء ببدن الحي ، وأن كل صناعة بمنزلة العضو ، فالملك كالمخ ، والحدادة كالعضد ، والزراعة كالكبد ... الخ ؛ ولا حياة للجسم إلا بالروح ، وروح المعيشة الإنسانية النبوة والحكمة .

فاتهموه بالإلحاد لهذا ، وشنعوا عليه بأنه يقول إن النبوة صناعة ، وشغبوا عليه حتى نصح بالخروج

من الآستانة .

فلما جاء إلى مصر اتهمه بعض العلماء كالشيخ عليش وبعض العامة بالإلحاد ، والإلحاد فى نظر هؤلاء وأمثالهم شىء هين ، يكفى ألا يسير سيرتهم ، ولا يلبس لباسهم ، وأن يدخن السيجار ، ويجلس فى المقهى ، ويلتف حوله بعض اليهود والنصارى ، ليحكموا عليه بالإلحاد . وكما أن عقيدة كل إنسان لها لون خاص ، فكذلك تصوره الإلحاد يتكيف بذهنه .

ولما ترجم سليم بك عنحورى للسيد جمال الدين فى كتابه « سحر هاروت » رمى السيد أيضاً بالإلحاد فقال : « إنه برَّز فى علم الأديان حتى أفضى به إلى الإلحاد والقول بقدم العالم ، زاعماً أن الجراثيم الحية المنتشرة فى الفضاء ترقى وتتحور إلى ما نراه من أجرام ، وأن القول بوجود محرك أول حكيم وَهْمٌ نشأ عن ترقى الإنسان فى تعظيم المعبود على حسب ترقيه فى المعقولات ... » .

وقد قابله الشيخ محمد عبده وعاتبه على نشر مثل هذا القول من غير تحرٍ وتدقيق ، فكتب سليم بك فى الجزء الثانى يصحح فيه قوله ، ويقول : إنى قابلت الشيخ محمد عبده ، فأوضح لى بدلائل ناهضة وبراهين داحضة ، أن ما تتناقله الألسن من هذا القبيل ما كان إلا من آثار الحسد ، وأن السيد كان أثناء مناظراته الجدلية يشرح النِّحَل والبدع وأقوال المعطلين شرحاً وافياً ، ثم يقيم الحجج على بطلانها ؛ فلعل سامعاً سمع منه هذا القول فى مثل هذا الموقف فنسبه إليه ، وقال إنه لم يسمع من السيد هذا الكلام وإنما تلقاه عن بعض المصريين والسوريين . ونقل كلاماً للسيد اطلع عليه فى وجوب الدين ، وضرورة الاعتقاد بالألوهية ، ومزايا الإسلام ، وختم مقاله بقوله : « إننا سارعنا لإذاعة هذا ، شأن المؤرخ العادل ، وقياماً بحق الأدب ، وضناً بفضل هذا الرجل الخطير من أن تناله ألسنة من لا يعرفونه خطأ وافتراء والله يتولى الصادقين » .

ثم رأينا ما اتهمه به « رينان » بعد ما جالسه فى باريس فكتب كلمته التى نشرناها من قبل ، وهذا أدق موقف ؛ فرينان فيلسوف واسع الذهن دقيق التعبير ، لا يلقى الكلام على عواهنه ، خصوصاً وقد ورد فى رد السيد جمال الدين عليه ما يفيد أنه سلم المسيو رينان بأن الإسلام كان عقبة فى سبيل العلم .

ولكن فى رأيى أن السيد عبر تعبيراً غير دقيق فى تفرقته بين طبيعة الدين الإسلامى وسيرة المسلمين ، خصوصاً وأنه أخذ على رينان تقصيره فى أنه لم يبحث إذا كان هذا الشر نشأ عن الديانة الإسلامية نفسها ، أم عن الصورة التى تصور بها الإسلام ، أم عن أخلاق بعض الشعوب التى اعتنقت الإسلام ، وقراءتنا لرده تشعرنا بأنه وقع فى هذا اللبس ، وأنه كان يدور حول فكرة أن للدين دائرة ، وللعلم دائرة ، ويجب أن يسبح كل فى دائرته من غير طغيان ، وأن الدين يجب ألا يعارض العلم فيما ثبتت صحته علمياً — وهذه الفكرة الواضحة فى ذهننا الآن ، والواضحة فى تعبيرنا لم تكن واضحة فى رده ، فكان رداً مهوشاً ، كما كانت محاضرة رينان نفسها كذلك .

وليس من شك فى أن السيد كان حر التفكير قوياً على الجدل ، متشعب طرائق الحجج ، فمن الممكن جداً أن يكون فى مجالسه مع رينان تبحبح فى بعض الأقوال التى من هذا القبيل ، والتى تحدث لكثير من كبار المفكرين فى بعض اللحظات ، فحكم رينان عليه هذا الحكم الشامل خطأ .

ثم كان « السيد » ، كما يحكى عنه الشيخ محمد عبده وبعض خاصته ، متصوفاً يدين بعقيدة المتصوفة ، وهى مبهمة غامضة تنتهى بوحدة الوجود ، والتعبير عنها قد يلتبس — إلا على الخاصة — بالإلحاد ، ومن أجل هذا رمى محيى الدين بن العربى وأمثاله بالكفر لعدم الدقة فى الوزن .

إن حياة « السيد » مملوءة بالدعوة الحارة إلى الدين ،

وإلى التوحيد ، فى كتاباته فى « الرد على الدهريين » وفى العروة الوثقى ، وفى مجالسه الخاصة .

يذكر بعض خاصته أنه سمع رجلا كبيرا تكلم كلمة فى حق النبى فأمر « السيد » من معه من الأفغانيين بضربه فضربوه حتى خرج يزحف .

وحكى المخزومى مجلساً شهده ، إذ زار رجل جمال الدين فى بيته فى الآستانة وجرى الحديث فقال هذا الرجل : « إنى قرأت كتب الفلاسفة فثبت عندى أن الله غير موجود ولا يعتقد به إلا حيوان » . فضاق صدر السيد ولم يجبه ، ودعا الحاضرين إلى حديقة البيت وكان فيها أنواع من الطيور والدجاج ، فتصايحت الديكة وغردت الطيور ، فقال السيد : « كيف لا يخجل أضعف حيوان أعجم يذكر الله إنساناً ناطقاً ينكر وجود الله » كيف يجرؤ على إنكار واجب الوجود من يأكله الدود ؟ إذا لم يتعظ الإنسان بما فوقه من أجرام فليتعظ بما تحته من وطء الأجسام ؟ فخرج الرجل الملحد خجلاً من غير أن يودع .

لا يمكن أن تصدر هذه الحكايات وأمثالها وهذه الغيرة من ملحد إلا أن يكون قد بلغ الغاية فى التصنع والنفاق . ولم يكن عيب جمال الدين نفاقه ، إنما كان عيبه إفراطه فى صراحته ، وعدم استطاعته كتمان ما يعتقد ، ويقول : « لا يكون الكمال النسبى فى البشر إلا متى كثر إعلانهم وقل كتمانهم » ، وأكثر متاعبه فى الحياة كان سببه جهره بما يصح أن يكتم وإعلانه ما يجب أن يسر ، فأخلاق مثل هذه تؤكد أنه لو كان السيد ملحداً يرى الحق والخير فى الإلحاد لدعا إليه فى صراحة وجرأة وشجاعة من غير ما مواربة ولا إعياء .

لقد كان يؤمن بالأصول ، ويترك لعقله الحرية التامة فى الفروع ، ويصل فى ذلك إلى نتائج غريبة من أذهان الجامدين المتزمتين فيرمى بالإلحاد ، فكان ينفر من التقليد ويدعو إلى الاجتهاد ، ويذكر فى مجلسه قول القاضى عياض ويتمسك به راووه فيقول « السيد » : سبحان الله ! إن القاضى عياضا قال ما قاله على قدر ما وسعه عقله وتناوله فهمه ، وناسب زمانه ، فهل لا يحق لغيره أن يقول ما هو أقرب للحق وأوجه وأصوب من قول القاضى عياض وغيره من الأئمة ؟ إذا كان القاضى عياض وأمثاله سمحوا لأنفسهم أن يخالفوا أقوال من تقدمهم فاستنبطوا وقالوا ما يتفق وزمانهم فلم لا نستنبط ونقول ما يوافق زماننا .

« ما معنى باب الاجتهاد مسدود ، وبأى نص سُدّ ، أو أى إمام قال لا يصح لمن بعدى أن يجتهد ليتفقه فى الدين ، ويهتدى بهدى القرآن وصحيح الحديث والاستنتاج بالقياس على ما ينطبق على العلوم العصرية وحاجات الزمان وأحكامه .

« إن الفحول من الأئمة اجتهدوا وأحسنوا ، ولكن لا يصح أن نعتقد أنهم أحاطوا بكل أسرار القرآن ، واجتهادهم فيما حواه القرآن ليس إلا قطرة من بحر ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده » .

ويرى أن التفرقة بين أهل السنة والشيعة أحدثتها مطامع الملوك أول الأمة ، وجميعهم يؤمنون بالقرآن ورسالة محمد ، ففيم الخلاف ولم القتال ؟

ويقول إن الأديان الثلاثة كلها أساسها واحد وإنما وسع شقة الخلاف بينها اتجار رؤساء الأديان بها .

ويخص فى اشتراكية الإسلام ويقارن بينها وبين اشتراكية الغرب فيرى أن اشتراكية الغرب بعث عليها جور الحكام وعوامل الحسد فى العمال من أرباب الثراء ، أما الاشتراكية التى كانت فى الإسلام فملتحمة مع الدين ملتصقة مع الخلق باعث عليها حب الخير كما فى أعمال عمر وأبى ذر .

ويعرض فى مجلسه للحديث عن الرجل والمرأة والسفور والحجاب فيطيل القول فى ذلك . وخلاصة رأيه أن المرأة فى تكوينها العقلى تساوى الرجل ، فليس للرجل رأس وللمرأة نصف رأس ، والتفاوت الذى بينهما لم يأت إلا من التربية

المـــــلاريا

للدكتور أحمد زكي بك

تسألني عن الملاريا ، ما خطبها ؟

فاعلم أن خطبها كبير ، ومجال الشرح فيها واسع ، يشترك في استجلائه عالم الحيوان ، وعالم الأمراض ، وعالم الكيمياء ؛ وحتى ذلك الفنان اليوميّ الذي نسميه الطبيب المعالج . واعلم أنه لا علاقة البتّة بين اسم هذه الحمى — الملاريا — وبين خطبها العظيم . فلو أني أردتُ التستّر على آبائنا لقلتُ لك خذه اسماً كأسماء الأجناس ، كالحجر والحديد والماء ، لا معنى له أكثر من الاصطلاح على لفظة كائنة ما كانت لمسمىً . ولو أني أردت تمجيد من ابتلوا من الأبناء لذكرتُ أن لفظة « ملاريا » لفظة تسجّل جهل الماضي وعلم الحاضر . فلفظة ... لفظة « مال » ، ومعناها الشيء الفاسد وكل ما تضمَّن شراً ، ولفظة « آريا » ، ومعناها الهواء . واللفظتان تجد أصليهما في اللاتينية ، وفي الإيطالية والفرنسية . فمعنى الملاريا إذن هو الهواء الفاسد . وأنت لا شك تعلم أن الداء لا علاقة له بالهواء فاسداً أو صالحاً . ولكن اللفظة شائعة فينا ، ومن حقها أن تقوم ، لنذكرها ، فنشكر بذكرها الله أن هدانا .

واعلم أن داء الملاريا داءٌ في الناس قديم . فأبقراط الطبيب اليونانيّ الشهير ، عرفها ، وهو الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد . وفارُّو Varro ، الكاتب العالم الروماني في عهد يوليوس قيصر ، عرفها أيضاً ، واقترح أنه داء مصدره المستنقعات . فهل كانت يا تُرى هذه رمية من غير رام ، أم كانت نتيجة ملاحظة واستقراء ؟ وفي القرون الوسطى ، في أوروبا ، طغت على أهلها حمّى متقطعة ، فيها الرعدة ، وفيها العرق ، وتأتي على ميعاد

وإطلاق السراح للرجل وتقييد المرأة ، وليس ما يمنع المرأة من التعلم ، إنما يجب أن تعد المرأة للبيت ولتربية الجيل ، ومهمتها في هذا أهم وأشق مما يقوم به الرجل من كثير من الصناعات ، ويخطئ من يطلب مساواة الرجل بالمرأة في كل شيء . فلكل وظيفته ، وعلى تعاونهما — كل في عمله — يقوم المجتمع ، ولا مانع أن تعمل المرأة في الخارج إذا فقدت عائلها واضطرتها ظروفها إلى ذلك ولكن بنية صالحة وذيل طاهر . ثم قال : « وعندي أن لا مانع من السفور إذا لم يتخذ مطية للفجور » .

ويقول « إن الدين لا يصح أن يخالف الحقائق العلمية فإن كان ظاهره المخالفة وجب تأويله . وقد عم الجهل وتفشى الجمود في كثير من المتدينين ورداء العلماء ، حتى اتهم القرآن بأنه يخالف الحقائق العلمية الثابتة — والقرآن برئ مما يقولون — والقرآن يجب أن يجل عن مخالفة العلم الحقيق خصوصاً في الكليات » .

وهو واسع الصدر يعتقد شبلي شميل في آرائه التي اتبع فيها مذهب داروين بل وجاوزه ، ومع ذلك يقدره لصبره على البحث وجرأته في الجهر بما يعتقد ولو خالف الناس . وهكذا وهكذا مما يراه المتزمتون خروجاً عن المألوف فما أقرب ما يقذفون بكلمة الإلحاد .

سنة مألوفة في الكون لا يأتي مصلح سابق لزمنه إلا رمي بالزندقة أو الكفر أو الجنون ، ثم أوذي ممن يسعى في الخير لهم ، وممن يضحى بسعادته لسعادتهم ، ولا يقدَّر حق قدره إلا بعد أن يبدأ الجسد بموته ، وتتجلى صحة دعوته بعد زمنه .

رحمه الله فالزمن لا يسمح بمثله إلا قليلاً .

(انتهى) أحمد أمين

لا تخلفه ، هي حمى الملاريا ؟

وقبل العصور الوسطى سجلها شاعر العرب ، المتنبي في قصيدته الميمية . فوصفها عن خبرة ، فما أخطأ وصفا . وأين أصابته ؟ في مصر المريزة . قال يصف الحمى :

وزائرتي كأن بها حياء
فليس تزور إلا في الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا
فعافتها وباتت في عظامي
يضيق الجلد عن نفسي وعنها
فتوسعه بأنواع السقام
إذا ما فارقتني غسلتني
كأنا عاكفان على حرام
كأن الصبح يطردها فتجري
مدامعها بأربعة سجام
أراقب وقتها من غير شوق
مراقبة المشوق المستهام
ويصدق وعدها والصدق شر
إذا ألقاك في الكرب العظام

فأي داء هذا إن لم يكن الملاريا ؟

وحدث في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ، في أوروبا ، والداء يجتاحها ، أن رجع قساوسة الجزويت إليها من جنوب أمريكا ، بقشر شجرة « سنكونا » ، أو ما يسميه عامتنا اليوم بقشر الكينا ، فكان لأوربا فيه الخلاص من بلاء الداء .

وبهذا الدواء تميزت هذه الحمى من سائر الحميات ، ودرست وحدها . ولكن جرثومة هذا الداء لم تكتشف إلا عام ١٨٨٠ ، وكثير من أشياخنا الأحياء ولدوا في هذا العام أو حوله . وجاء عام ١٨٩٤ فاقترح عالم ، معروف لأهل العلم ، أن هذه الجرثومة تنتقل إلى الإنسان بواسطة البعوض ، ولكنه أخطأ فظن أن البعوض ينقلها من ماء ونحوه .

ولم يهل القرن العشرين حتى كانت دراسة هذه الجرثومة تمت ، وتمت دراسة أطوارها ، وأثبت العلماء أن الجرثومة إنما تنتقل من دم إنسان إلى دم إنسان ، وأن ناقلها ضرب معين من البعوض .

فما تلك الجرثومة ، وما أطوارها ؟

لمعرفة هذه الجرثومة يجب أن نرجع إلى أدنأ الحيوانات على ظهر هذه الأرض ، فعند هذا الرجوع نعلم أن أدنأ هذه الحيوانات ، وأدنأ أدناها ، هو الذي يغزو أرق الحيوانات على هذه الأرض ، فيسبب له الأرق والأوجاع أياما ، وقد يقضي على حياته .

افتح أي كتاب في الحيوان ، واقرأ في أوائله الباب الذي يحدث عن تقسيم المملكة الحيوانية ، تجده يبدأ بوصف أدنى هذه الأقسام ، البروتوزوا Protozoa . وهو يصفها بأنها أبسط الحيوانات وأصغرها . وأن أكثرها لا يرى بالعين العارية . وأن كثيرا منها يحتاج إلى مجهر عظيم التكبير ليريها إياها . وبعضها كبير جدا حتى ليبلغ حجم رأس الدبوس . وأكثر هذه الحيوانات شفاف فلا بد من صبغه ليرى تحت المجهر .

وليست البساطة كائنة في صغر حجم هذه الحيوانات وحده ، ولكنها تتعداه إلى تركيبها . فهي من البساطة في التركيب حتى جرى الحديث بأنها خلايا فردية ؛ أي أن الحيوان الواحد منها يتألف من خلية واحدة ، ولو أنها خلية يغلب أن يتخصص أجزاؤها فتتنوع هذه الأجزاء وظيفة وتركيبا . فهي خلية ، وإن تكن واحدة ، إلا أنها اكتملت في وحدانيتها .

وتظل تقرأ فتأتي على أن هذه الحيوانات البدائية تنقسم إلى أقسام ثلاثة كبرى ، أولها حيوانات سريعة الحركة لها ذيول تنمو على أجسامها فتتحرك بها كما يتحرك السابح في الماء . وتسمى الإنفيسوزوريا Infusoria ، أي

الأُنفاعيات ، لأنها وُجِدت فى نُقاعة المواد العضوية لما تعرّضت للهواء زمناً . ومن أمثلتها جرثومة مرض النوم . وثانى الأقسام حيوانات متوسطة الحركة ، أكثرها يتحرك بنتوءات تنشأ فى جدار خليته الواحدة ، وبهذه النتوءات تأكل . ومن هذا القسم الأميبا ، ومن جرثومة الدوسنطاريا الأميبية فى مصر ، وهو الداء الذى صار فى تقليد كثير من الأطباء فى هذه الأيام أن يذكروه كلما أطلعوا على اضطراب فى الأمعاء جهلوا سرّه . ثم تأتى فى قراءتك على ثالث الأقسام . وهو يتضمن الحيوانات البِذْرية ، ويسمونها الاسپوروزوا Sporozoa ، لأنها تتكاثر بأن تتحوّل إلى أجسام كرية أشبه بالبذور . وهذه أبطأ ما فى هذه الحيوانات ، ولعلها من بطئها صارت طفيلية . والذى يعجز عن السعى فى سبيل الرزق لابد أن يتطفل . ومنها جرثومة داء الملاريا ، واسمها البلَزْمود Plasmodium . فهى جرثومة حيوانية ذات خلية واحدة ، تمرت من البعوض التلدغ فى دم الإنسان ، على خلايا الحمراء . ومن تطل فى دم هذا الإنسان تنتظر بعوضة من النوع الذى يحملها إلى الغير إلى دم إنسان ثان . ومن هذا الثانى إلى ثالث ، وهلمّ جرّا .

من أجل هذا لا يوجد البلَزْمود من الأرض إلا حيث يوجد إنسان . ولا ينتقل المرض إلا حيث يكون بعوض . والبلزمود ، وهذا النوع من البعوض ، والإنسان : ثلاثة من الحيوانات لابد من اجتماعها ليتم إحداث هذه الظاهرة المَرَضية البديعة التى نسميها الملاريا .

ومن شواهد ذلك أن الملاريا لا توجد فى بعض جزر المحيط الهادى لأنه لا يوجد فيها هذا النوع من البعوض . وهى ستظل خالية من الملاريا ولو نُقل إليهـا أُلوفٌ من الناس تستعر الحمى فى أجسامهم ، ويسبح البلزمود متكاثراً فى دمائهم ، ماخلت هذه الجزر من هذا البعوض . ومن شواهد ذلك أيضاً أن الملاريا لا توجد على الأرض بعد خط العرض السَّتين شمالا لبرودة الجو ، كذلك هى لا توجد فى الأطلب ودرجة الحرارة دون الخمسة عشر درجة مئوية . والملاريا لا توجد فى أوروبا ، فى جبالها ، فوق ارتفاع ٣٠٠٠ قدم . وفى الهند وأفريقية لا توجد فوق ارتفاع ٦٠٠٠ قدم .

على أن درجة انتشار الحمى ، مع اجتماع أسبابها ، تتوقف على أشياء كثيرة ؛ منهـا طريقة عيش الناس وطبيعة الأرض التى يعيشون عليها . فكلما طاب العيش ، وانتشرت الأساليب الصحية وانتشار المدنية قلّت الملاريا أو انعدمت . حدث هذا فى أوروبا الشمالية وأمريكا الشمالية فى القرن الماضى ، ففيه تراجعت الملاريا تراجعاً عجيباً عن هذه البقاع بعد أن استفحلت . ولا تزال فى البقاع الأوروبية غير الشمالية بقاعٌ تُذكَرُ إذا ذُكِرت الملاريا . ومن تلك البقاع صقلية ، ومقدونية ، واليونان .

ولكن أسوأ البقاع سمعة فى هـذا الصدد أفريقية الاستوائية وأمريكا الوسطى . والتقارب ما بين الشتاء والصيف عند خط الاستواء تقوم الملاريا فى ترويع أهل هذه البقاع صيفَ شتاء . أما فى غير خط الاستواء فالحمى أوانٌ تنزل به على الناس ضيفة لا أهلا بها ولا سهلا . وقد تُغير الطبيعة من طقوسها ، فتتخلّف الوافدة بسبب ذلك ، أو هى تفد شراً مما اعتادت . حدث هذا فى جزيرة سيلان بالهند ، فى الجائحة العظمى جائحة عام ١٩٣٤ — ١٩٣٥ ، إذ تخلفت رياح المنسون ، فتخلّف بها المطر ، فجفّت الأنهار ، وجفت البحيرات ، إلا من حُفَر استنقع فيها الماء فصار مَراقىَ للبعوض . وبتخلف المطر تخلّف الزرع ، وتخلّفت المحاصيل ، وشاعت فى الناس المجاعة ، وقلّت بشيوعها قدرة الأجسام على كفاح الجائحة ، ففتكت بهؤلاء المساكين شرَّ فتك ، فذهبت فى سبعة أشهر بـ ٨٠٠٠٠ روح

لها بقية

أحمد زكى

من أمارات العبيط :

العبيط فى الحياة الاجتماعية

فى مقال سابق رأينا الأمير موتشكين — عبيط دستوفسكى — يصاحب الأطفال ويفضلهم على الكبار ولم نستطع إلا أن نقره على سلوكه . فقد تسامر مع أصدقائه فى رحمة فتاة بائسة . ثم إن الفتاة كانت قد سقطت سقطة أخلاقية لم يكن بد للهيئة الاجتماعية من أن تثور لها . ونحن ندع جانبا مشروع تلك الثورة . فهيا غريزة تناهض ما فى ملكة التفكير من تدمير لحياة الفرد وتقويض لحياة الجماعة إذا أطلقنا لتلك الملكة الخبيثة عنان التجبر الضال . ثم انظر ألم تكفر الفتاة عن إثمها آلم التكفير ؟ ألم تقبل كل ما أنزل بها من تنكيل بنفس صاغرة باخعة ؟ وعندما ينزل القضاء أ[illegible] لابد مرسلة هديها إلى من تختار من أرواح تحمل إلى البائسين نسمة من تلك الرحمة ؟ ومن [illegible] الأطفال والعبطاء هم تلك الأرواح المختارة .

نستطيع إذن أن نتردد فى الحكم على موتشكين بالعبط لمصادقته الأطفال أو مسحه لدموع مارى ؛ بل قد نجرؤ فنرى أن الهيئة الاجتماعية التى تصف الأمير بهذه الصفة هى على الأقل العبيطة إن لم تكن الغليظة الحمقاء .

وما الهيئة الاجتماعية إلا نحن — العاديون من الناس — الذين تتحكم فيهم الواضعات فتجعل منهم أحيانا وحوشا لا تعى ما تفعل .

وها نحن اليوم نواجه العبيط فى الحياة الاجتماعية . ها نحن نغادر أدب النفس إلى أدب الجماعة . نغادر وحى الضمير إلى عادات المجتمع . ولا نحسبن أننا ننتقل بذلك من مجال صارم إلى مجال هين . فنحن فى الحق أكثر استعبادا للعرف منا للخلق . وذلك لأمر بيّن هو أننا جميعا — إلا من عصم ربى — أشد حرصا على حركاتنا الظاهرة منا على حقائق نفوسنا . وإذا تعارض ظاهر لنا باطن كم ممن ترى حولك يستجيبون لنداء الضمير ؟

عاد الأمير موتشكين من سويسرا حيث كان يستطب من التشنج العصبى إلى بترسبورج ؛ ولما كان يعلم أن أسرته العريقة قد انقرضت ولم يبق منها غير سيدة واحدة زوجة لجنرال كبير بالجيش ، فقد رأى أن يذهب إلى تلك السيدة ليتعرف إليها ويستشيرها فيما يفعل وهو الوحيد المنقطع .

« كانت الساعة غير بعيدة من الحادية عشرة صباحا عندما دق الأمير الجرس ببيت الجنرال وهو فى الدور الثانى ، مسكن فى حدود البساطة التى تسمح بها مكانة صاحبه الاجتماعية . وفتح الباب خادم فى بذلة الحشم . وكانت مقابلة طريفة بين الأمير وذلك الرجل الذى نظر إليه هو وحقيبة ملابسه الصغيرة نظرة ملؤها الريبة . وفى النهاية وبعد أن أعلن إليه عدة مرات أنه حقيقة الأمير موتشكين وأنه فى حاجة ماسة إلى رؤية الجنرال لأمر هام ، [illegible] الخادم إلى غرفة صغيرة مجاورة لغرفة الانتظار ثم انسحب تاركا الضيف بين يدى خادم آخر . رجل فى الأربعين من عمره يرتدى بذلة رسمية وعمله إخبار صاحب السعادة بأسماء الزائرين . وكان فى ملامحه المهمومة ما يدل على مبلغ شعوره بأهمية وظيفته .

قال للضيف : تفضل ، أدخل الصالون برهة ودع حقيبتك هنا . قال هذا وهو يجلس فى مقعد ضخم برزانة مصطنعة ونظرته المدهوشة القاسية تفحص الأمير الذى لم يتخل عن متاعه المتواضع وأخذ كرسيا وجلس إلى جواره قائلا : سأنتظر هنا — إذا سمحت — فى صحبتك . ماذا أفعل هنالك وحيدا ؟

— ولكنك ، ما دمت قد أتيت لزيارة ، لا تستطيع أن تبقى فى هذه الغرفة . إنك تريد أن تحادث الجنرال نفسه . أليس كذلك ؟ . وفى الواقع إن الخادم لم يكن

يخطر بباله أن يُدخل زائرا كهذا على الجنرال ؛ ولذلك كرر سؤاله الأخير . فأجاب الأمير : نعم إن لدى مسألة ...

— أنا لا أسألك من شيء . فعملى هو أن أعلن قدومك فقط ولكنى كما أخبرتك مضطر إلى أن أرى السكرتير أولا .

لقد أخذ الخادم يزداد ريبة . فالأمير كان شديد الاختلاف من الزائرين العاديين . والجنرال — لاريب — لم تكن مقابلاته قاصرة على الوجهاء ، بل كان يأتيه أيضا أفراد من كافة الطبقات لمصالح مختلفة ، وكان الخادم يعرف ذلك جيدا ولديه أوامر بأن لا يتشدد مع الزائرين ، ومع ذلك فإنه فى هذه الحالة بالذات لم يجرؤ أن يتحمل المسئولية ورأى أن خير حل هو أن يستعين بالسكرتير .

وأخيرا سأل الأمير وكأنه يوجه سؤاله مكرها : أحقا أنك ... أتيت من الخارج ؟ ولقد أعوزته الشجاعة فلم يستطع أن يوجه السؤال الحقيقى ، وهو : أحقا أنك الأمير موشكين ؟ وأجاب الأمير [illegible] الحطة مباشرة . ولقد أردت فيما أعتقد [illegible] على حقيقة الأمير موشكين ، ولكن [illegible] هذا السؤال . « هه ! ... » هكذا تمتم الخادم مدهوشا .

— أؤكد لك أنى لا أكذبك ، وأنك لن تتحمل بسببى أية مسئولية . وإذا كنت تراني فى هذا الزى حاملا هذه الحقيبة الصغيرة فليس فى ذلك ما يدعو إلى الدهشة . فحالتى الآن ليست على ما يرام .

— هه ! ... فى الحقيقة ليس هذا ما يخيفنى . إنى هنا لكى أعلن الزائرين . وبعد هنيهة سيخرج السكرتير . وإذا كنت ... هل لى أن أعرف أنك لم تأت إلى الجنرال كرجل محتاج لطلب المساعدة ؟

— آه ! لا . من هذه الناحية كن مطمئنا كل الاطمئنان . إنى لم آت من أجل هذا .

— معذرة . لقد خطرت لى هذه الفكرة وأنا أتأمل ملابسك . انتظر السكرتير . فالجنرال مشغول الآن مع أحد الضباط ، ولكنك سترى السكرتير قادما .... سكرتير الشركة .

— إذا كنت سأنتظر زمنا طويلا ، فإنى أسألك أن تسمح لى بالتدخين فى جهة ما ، فلدى الپيبة والدخان .

فصاح الخادم فى استنكار وهو لا يكاد يصدق أذنيه : بالتدخين ! ؟ ... بالتدخين ؟ ! ... أبدا . إنك لا تستطيع أن تدخن هنا ، بل وما كان يجوز أن يخطر هذا ببالك . آه ! هذا شيء عجيب !

أوه ! إنى لم أقصد التدخين فى هذه الغرفة . فأنا أعلم جيدا أنه غير مسموح به ، وإنما أردت أن أرجوك لتدلنى على مكان أستطيع أن أشعل فيه پيبتى . وذلك لأنى معتاد التدخين ، وها قد مضت على ثلاث ساعات دون أن أدخن . ومع ذلك فليكن ما تريد . وأنت تعلم أن هناك مثلا يقول : فى الدير الأجنبى ...

وعندئذ [illegible] مكرها : ولكن كيف أعلن قدومك [illegible] ؟ مكانك كزائر ليس هنا ، بل فى [illegible] وبقاؤك فى هذه الغرفة سيعرضنى للتقريع .

ثم أضاف ، وهو يلقى بنظرة جانبية إلى الحقيبة الصغيرة التى كانت لا تزال بيد الأمير ، وقد شغلت الخادم طول الوقت ... ولكنك تنوى أن تقيم عندنا . أليس كذلك ؟

— لا . هذا لم يخطر ببالى . وحتى لو اقترحوا علىّ ذلك لن أقبل البقاء . وغايتى الوحيدة من هذه الزيارة هى أن أتعرف إلى أصحاب المنزل . ولا شيء أكثر من ذلك .

ولاح هذا الجواب للخادم الطّيّب داعيا إلى الريبة فصاح مندهشا : إيه ! ! أن تتعرف إليهم ؟ ! ولكنك ادعيت بأن أخبرتنى أنك أتيت لمسألة ما .

— ربما أكون قد بالغت عندما تحدثت عن « مسألة » ومع ذلك فليكن مجيئى إلى هنا ، إذا أردت ، لمسألة ، بمعنى أنى أريد أن آخذ نصيحة . وإن كنت أود قبل كل شيء أن أتقدم إلى الجنرال ايپنتشين ، وذلك لأن

زوجته من أسرة موتشكين ، أسرتي . وهي وأنا آخر عضوين فيها .

ولقد بلغت التكلمات الأخيرة من قلق الخادم فصاح ذاهلا : وإذن فأنت من الأقرباء أيضاً ؟ ! !

— تقريباً . لا شك أن هذه القرابة قائمة ، ولكنها بعيدة إلى حد أن تستطيع اعتبارها منعدمة . وعندما كنت في الخارج كتبت مرة إلى زوجة الجنرال ، ولكنها لم ترد . ومع ذلك فقد رأيت عند عودتي أن من الواجب تذكيرها بي . ولقد استطردت إلى كل هذه التفاصيل لكي أبدد شكوكك وذلك لأني أراك دائم القلق . أعلن قدوم الأمير موتشكين وبمجرد أن يسمعوا اسمي سيعرفون سبب زيارتي . وعندئذ سيستقبلونني أو يرفضون استقبالي . فإن قبلوا كان خيرا وإن رفضوا ربما كان الخير . وإن كنت أعتقد أنهم لا يستطيعون أن يرفضوا . فالسيدة لا شك تود أن ترى الممثل الوحيد الباقي من أسرتها . وأنا أعلم أنها تعتز بأسرتها اعتزازاً كبيراً .

وكان الأمير كلما ازداد تبسطاً في حديثه والمفرطة ربما ازداد إساءة إلى نفسه في نظر الخادم . فهذا الحديث الذي لا غبار عليه إذا جرى بين أناس من طبقة اجتماعية واحدة ، لم يكن الخادم يستطيع أن يفهم إلا أنه نابٍ عن موضعه نبواً شديداً عندما يدور بين زائر وخادم . ولما كان الخدم أقل غباوة مما يظن أسيادهم عادة فإن خادمنا قد افترض أحد أمرين : إما أن يكون الأمير شحاذاً أتى يستجدي الجنرال صدقة ، وإما أن يكون بكل بساطة رجلاً مخبولا . وذلك لأن أميراً نبيلا لا يمكن أن يبقى في هذه الغرفة الجانبية ولا أن يقص أموره على خادم . وفي كلتا الحالتين هل كان يستطيع أن يعلن قدوم شخص كهذا ؟ ! »

وأنا أعفي القارئ من بقية الحوار وأطمئنه إلى أن الأمير موتشكين قد انتهى بالدخول والتعرف إلى الجنرال وزوجته وأبنائهما ، بل كانت له حادثة غرام مع إحدى بنات الجنرال . والسكرتير طبعاً هو الذي أدخله .

والآن ماذا يرى القارئ ؟ أهو عبيط حقاً ؟ ولك أن تراجع كل أقواله فلن ترى فيها غير الصدق . قد تقول ولكن الرجل عبيط عبيط ما في ذلك ريب . فهو لا يعرف أن يضع نفسه ولا يقدر نفسية من يخاطبه ولا يفطن إلى ما في ردود الخادم من وقاحة متصاعدة . وهو أخيراً لا يعرف أن ما كل حق يقال ، وإذا قيل فما ينبغي أن يقال لكل إنسان ، وما إلى ذلك من حكمنا الخبيثة . قد تقول هذا وخيراً من كل هذا وأما أنا فاعتقد أن عقولنا نحن هي الفاسدة وأن حياتنا الاجتماعية قد خربت نفوسنا . لقد كانت من القسوة بحيث خلقت أرواح عبيد وأرواح سادة . وكانت من الالتواء بحيث جعلت من حياتنا كلها نفاقاً متصلا وأصبحت من هذه النفاق قانوناً صارماً يصيبنا من عدم احترامه أكبر الأذى فأصبحنا جميعاً نتساءل عن سر عبط هذا الأمير العجيب بدلا من أن نتساءل عن سر فسادنا نحن جميعاً سادة .

محمد مندور

صاحب امتياز المجلة
رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر
أحمد أمين

رئيس التحرير المسئول
محمد عبد الواحد خلاف

الاشتراك لستة أشهر
٤٥ في مصر والسودان
٣٧/٥ لطلبة وموظفي الإدارة
٦٠ في الممالك الداخلة ضمن اتحاد البريد
٧٥ في الممالك الخارجة عن اتحاد البريد

ثمن العدد ١٥ مليما

صيد من بلاد الشام

. . . وبعد ، فهذا صيدى . ستجد فيه كل لطيف طريف من سير العلماء ، وتحفة الشعراء ، وأسرار الأدباء . ولك عهدى أن لا أتكلف ولا أتحفظ . ولا أنقل غير ما هو حق وصدق .

وما عساى أن أقول . والأدب ، كما علمت ، صناعة لا ينجو صاحبها إن تحدث عن أهلها ، من بعض شر يؤذيه ، أو عتب يتعرض له ، أو لوم يناله . إن ذكرت هذا طمن عليك ذاك ، أو غمزت أولئك حقد عليك هؤلاء .

وقد يغضب الذين سأسوق الحديث عنهم ، أو قد يرضون . فقد نال بعضهم الشرك بغير سبب ، وبلغوا البغية بغير آلة . تراهم قد عصفت بهم الخيلاء ، ولبطرهم العجب ، فصالوا على الأقران . وهؤلاء تجرحهم الكلمة الناعمة ، ويسوؤهم الذكر الجميل .

وأوتى آخرون العلم والذهن ، وعرفوا بالبراعة والتميز . أعوزهم المال تارة ، والرياء مرة ، فظلوا المغمورين مجهولين ، لا يعرفون ، ولا يذكرون .

وأنا سعيد فيما أقدمت عليه . فلقد وجدت ناسا من الناس ، فى قطر من الأقطار ، ولا يعرفون عن دمشق وأهلها ، وسوريا وأدبائها ، غير قليل من القليل . أترى هذا ذنبنا ، أم هو ذنبهم ؟ . أما نحن فلا ندعو لأنفسنا دعاية غيرنا ، ولا نعرف بمن عندنا . أما هم ، فلا يقرأون كل ما يصدر عنا . أعفوا أنفسهم من كد النظر فى آثارنا ، وتسقط طريف أخبارنا ، حتى وقع نفر منهم عما يضحك ، بل — وحقك — عما يؤلم .

وصيدى لا يتبع طريقا قد سلك ، ولا يقصد نهجا قد طرق . إنما هو أخبار صغار ، لطاف ، خفاف . تتنقل بينهن وكأنك فى بستان ، فتجنى منهن ما يحلو لك ويطيب عندك ، من غير أن يستمك طول البحث ، ولا تزعجك دقة الدرس . ويبقى الصيد ، بعد ذلك ، حبيباً إلى نفسك ، متصلا بذهنك ، ملتحما بعقلك ، يرتاح إليه قلبك ، ويخف الحديث به على لسانك .

والشكر للعلامة الجليل ، أحمد بك أمين الذى طلب هذا الصيد ، ورحب به .

١ — المجمع العلمى وجوائزه .

وجدير بنا ، أن نتحدث عن مجمع (الخالدين) ، الحديث الطويل .

لا جرم أنه مفخرة دمشق ولو كره بعض العائدين . ولا شك أن أعلام أيام نشأتهم ونتاجهم ، كانوا صفوة الشعراء والكاتبين .

لقد هب المجمع يعمل ، وأخذ أعضاؤه يكتبون ويحاضرون . ولا غرو فى ذلك ، ورئيسه عندنا سيد المحققين العاملين .

فى كل يوم مشروعات ، وفى كل أسبوع محاضرات . أما المحاضرات ، فسنذكر منها ما وفق بها صاحبها ، وجود فيها .

أما المشروعات فكثار .

فمنها هذا العام ، جعله للأدباء السوريين ثلاث جوائز تعطى لمن ألف أو ترجم كتبا فى موضوعات تتعلق بأغراض المجمع ، ولا تخرج عن اختصاصه .

ولجنة المطبوعات ، خصت بدراسة الكتب ، والدلالة على الصالح التام منها .

ويستطيع المجمع تشجيعا للعلم — كما ورد فى نظامه — أن يوزع الجائزة الواحدة على أكثر من مؤلف واحد .

ويمكنه أيضا ، أن لا يمنح الجوائز الثلاث ، فى سنة ما ، إذا توفر لديه ما يدعو إلى ذلك .

أما أغراض المجمع ، كما حددها أعضاؤه ، فتنحصر أولا فيما يتعلق بعلوم اللغة العربية وآدابها ، والحرص على سلامتها ، وجعلها تتسع للعلوم والفنون والمخترعات .

وثانيا فيما كان ذا نسب بتاريخ العرب ، وآثارهم ،

ومدنيتهم، وعلومهم، وما كان للأمم، والحضارة الإسلامية من صلات.

وإنها لخطوة مباركة. فيها ردّ على مَنْ يزعم أن المجمع لا يشجع الأدباء.

ها هو ذا، قد وضع الجوائز، فأين الأدباء؟

أشخاص معدودون يتقدمون. وعندي أن أكثرهم فيما قدموا مخطئون.

فالأستاذ جاورجي كنعان تقدّم بمحاضرة ألقاها على الطلبة عن (حسّان بن ثابت) وقد طبعها في كراس صغير.

والسيد أنطون الجناوي تقدّم برسالة عن (الطيران) وضعها للطلبة أيضاً منذ سنين. وما أدري إن كان (الطيران) في أغراض المجمع العتيد.

والأستاذ ابراهيم الكيلاني قدّم كتاباً جمع فيه دروساً ألقاها على طلبة البكالوريا عن (الحجاج). وكان قد أخرجه منذ سنوات.

والأستاذ يوسف العش قدّم رسالة عن (الخطيب البغدادي، مؤرخ بغداد) وهي مخطوطة.

والأستاذ صلاح الدين المنجد قدّم رسالة عن (سجون بغداد، في العصر العباسي) ومقابستها بسجون أوروبة في ذلك الزمان وهي مخطوطة.

فهؤلاء ممَّنْ علمت أنهم تقدّموا. وتلك موضوعات رسائلهم. أما المخطوطة منها فما أدري ما فيها، أما المطبوعة فليس لي أن أعاتب أصحابها الآن، فقد نقدتُها نقداً.

ولعلّ هناك غير هؤلاء، سنذكرهم إن عرفناهم بعد حين.

ولا يقدحَنَّ في كلامك، أن هؤلاء أرادوا أن ينصبوا المجمع حكماً فيما يُلقى على التلاميذ، وما عليه إلا انتقاء الرسالة النادرة ذات الموضوع البكر، الذي لم يُطرق، الجدير بالجائزة، مثلا..

٢ — رسالة الملائكة للمعرّي.

وعند دار الكتب الظاهرية تقدّم مخطوطة نادرة رسالة الملائكة، التي ألّفها المعرّي، جواباً عن مسائل صرفية سأله عنها بعضُ الطلبة.

وقد ظهرت هذه الرسالة، قبل سبعة عشر عاماً في كتاب «أبي العلاء وما إليه» للراجكوتي. ثم طبعها الكيلاني طبعة ثانية على أنها كاملة.

وتمتاز هذه المخطوطة من غيرها بأن فيها زيادات لم تُعرف من قبل.

وقد أخذ الأستاذ سليم جندي، عضو المجمع العلمي، بتحقيق هذه المخطوطة، ومعارضتها بالنسخ المطبوعة، وشرحها وضبطها والتعليق عليها.

والأستاذ الجندي هذا، من شيوخ الأدباء في الشام، وهو عالم لغوي فاضل، واسع الدراية، حلو الرواية. وتقتحمه إذا اقتحمت، وتجتويه إذا تلقاه مزلم، ولكنّ حديثه إذا حدثك حلو. وله مساجلات مع الكرملي والحمصي، والمنذر، ونسيب اليازجي. وقد قهرهم بثبات حجته، ولم يتسنّ [illegible] أدرك هذه المساجلات، ولكني قرأتها. وهو يعدّ محققاً ولوعاً بالمعري وشعره. فهو يفضّله ويقدّمه، ويرى في شعره مشحذة للفهم، ومجلبة للحكمة، ومرْدعة للخطأ. وقد قضى في صحبته ودراسته عشرين عاماً أو تزيد. وله كتاب جامع فيه، لم يطبع.

وللأستاذ الجندي من التواليف «إصلاح الفاسد من لغة الجرائد» و «امرؤ القيس» و «ابن المقفع» و «علي بن أبي طالب» و «رسالة الكرم» و «رسالة الطُّرَق»، وكلها مطبوعة. و «شرح ديوان النابغة الذبياني» و «دراسات في الأدب العربي» و «كتابه عن المعري» وهذه مخطوطة.

وسيطبع المجمع العلمي رسالة الملائكة. ويعدّ أعضاؤه العدّة لإخراج كتب مخطوطة، ودواوين شعرية، سنتكلم عليها، وعلى أصحابها في أسابيع مقبلة.

٣ — مقصورة صريع الدلاء.

قصيدة لطيفة أطلعني على نسخة مضبوطة منها الأديب

من مصادر التاريخ الإسلامي :

الطبرى وابن الأثير

٢٢٥ — ٣١٠هـ — ٥٥٥ — ٦٣٠ هـ
٨٣٨ — ٩٢٣م — ١١٦٠ — ١٢٣٤م

ولد أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن خالد الطبرى بآمل عاصمة طبرستان حوالى عام ٢٢٥هـ (٨٣٨م) وقد درس بها وقتاً ثم غادرها إلى الرى ، ولما نزح إلى بغداد كان فى نفسه أن يسمع من أبى عبد الله أحمد بن حنبل ، ولكن لم يتفق له ذلك لموت ابن حنبل قبل دخوله المدينة . وقد انحدر إلى البصرة ثم إلى الكوفة ، وعاد ثانية إلى بغداد حيث تابع دراساته للقرآن والقراءات . وفى عام ٢٥٣ هـ وصل إلى الفسطاط ولكنه عاد ثانية إلى الشام . وفى عام ٢٥٦ هـ عاد إلى مصر والتقى أبا الحسن بن السراج ، وقد كان قبلة لعلماء مصر وموضعاً لاحترامهم لما أبداه من أدب جم وعلم وافر . والحق أن الطبرى كان دائرة معارف عصره ، فكان عالماً بالفقه والحديث والتفاسير والنحو واللغة والعروض . ولما عاد إلى بغداد بدأ عراكه مع الحنابلة الذين هاجموا منزله وآذوه أشد الإيذاء ، ورموه بالمروق والإلحاد . وقد أثبت رأيه عن ابن حنبل فى كتابه (اختلاف علماء الأمصار) ، ويظهر أنه لم يعترف بأحمد بن حنبل كحجة فى علم الفقه .

رفض الطبرى قبول مناصب عدة ، ورغب فى الانقطاع إلى العلم والتأليف ، فتفرغ لجمع مادة تصانيفه من رحلاته إلى البلاد الإسلامية . وذكر ياقوت فى معجم الأدباء أن الطبرى مكث أربعين سنة يكتب فى كل يوم أربعين ورقة . وقيل إن جماعة من تلاميذه قسموا مصنفاته على أيام حياته فخص كل يوم أربع عشرة ورقة .

اعتمد الطبرى فضلاً عن الروايات التى جمعها فى

الفاضل الأستاذ أحمد عبيد . و[illegible] بتصحيحها ثم عثرتُ على أبيات منها فى « عيون التواريخ » لابن شاكر . المخطوط فى المكتبة الظاهرية .

وصريع الدلاء ، هو أبو الحسن على بن عبد الواحد . الفقيه البغدادى ، عُرف بصريع الدلاء ، وقتيل الغوانى ، وبذى الرقاعتين . وكان شاعراً ماجناً يَغلب على شعره الهزل والمجون . وكان قد قَدِم مصر ، ومدح الظاهر لإعزاز دين الله ، وتوفى سنة ٤١٢ هـ .

وهو جدير بأن يُنوَّه به ، لأنه حلقة من سلسلة ، فيها أبو العبر ، ومَنْ حذا حذوه .

وقصيدته هذه ، عارض بها مقصورة ابن دريد ، وهى ممتعة ، خلط الجد فيها بالهزل ، والحكمة بالسخف .

وهاك بعض أبيات منها .

مَنْ لم يُرِد أن تَنْتَقِب نعالُه
يحملها فى كمّه إذا مشى
مَن [illegible] فى عينه مسلّة
فسأله من ساعته عن العمى
من صَفَعَ الناس ولم يدعهمو
أن يصفعوه ، فعليهم اعتدى
مَنْ طَبَخَ الديك ولم يذبحه
طار من القِدْر إلى حيث يشا
مَنْ أكل الفحم تسودّ وجهه
وصار صحنُ خدّه مثل الدجى
مَنْ فاته العلم وأخطاه الغنى
فذاك والكلب على حد سوا

قال بعضهم وقد قرأ البيت الأخير : إن هذا البيت خير من مقصورة ابن دريد ، لأنه حكمة بالغة .

لعلنا الكتابة عن هذا الشاعر ، والتكلم عليه .

دمشق فؤاد

أسفاره ، على تصانيف من سبقه من المؤرخين أمثال أبي مخنف وابن إسحق والواقدي والمدائني وابن الكلبي . وقد اعتمد كثيرا على روايات سيف بن عمر التميمي الذي توفي في عهد هرون الرشيد ، والذي يمثل مدرسة أهل العراق في الحديث . اعتمد على كتابين له أحدهما عن ثورة العرب عقب موت الرسول وحروب الردة والفتوحات الإسلامية ، وثانيهما عن الفتنة أيام عثمان .

ويأخذ كثير من المستشرقين على الطبري أنه لم يحاول مزج الروايات ونقدها وإعطاء رأيه الخاص فيها ، بل اكتفى بسرد الروايات المتضاربة جنبا إلى جنب . ويرى بعض المؤرخين أن في ذلك فرصة للباحث الحديث الذي أمامه مادة لم تعبث بها يد الطبري . ويعتقد المستشرق الإنجليزي مارجليوث أن الطبري لم يكن مؤرخا بالمعنى الذي نفهمه الآن ، فقد كان بطبيعته أديبا تنحصر مقدرته في نقل أخبار ذكرها الأقدمون . وهو [illegible] لا يظهر مقدرة كبيرة في تصويره الحوادث [illegible] ذلك فهو حينا يتكلم عن الفتوحات الإسلامية لا [illegible] عن الحالة الاجتماعية للعالم الإسلامية . غير أنه مهما قيل من انعدام النقد التاريخي عند الطبري فهو بلا شك أول من حاول أن يجمع بين معلومات العرب التاريخية في كتابه « تاريخ الرسل والملوك أو التاريخ الكبير » الذي تكلم فيه عن تاريخ الدول الإسلامية إلى عام ٣٠٢ هـ (٩١٥) م .

أما أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير فقد ولد في جمادى الأولى ٥٥٥ هـ (١١٦٠م) بجزيرة ابن عمر بالجزيرة ونشأ بها . وفي عام ٥٧٦ هـ (١١٨٠) م نزحت عائلته إلى الموصل ، فسمع بها من أبي الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب الطوسي . وقد قدم بغداد مرارا كرسول من صاحب الموصل ، ورحل إلى الشام والقدس ثم عاد إلى الموصل ، وانقطع للتصنيف ، وكان إماما في الحديث وخبيرا بأنساب العرب . وفي عام ٦٢٦ هـ (١٢٢٩م) تقابل في حلب مع ابن خلكان حيث كان ابن الأثير ضيفا على شهاب الدين طغريل الخادم أتابك الملك العزيز ابن الملك الظاهر صاحب حلب . وقد أشاد ابن خلكان بتواضعه ، وكرم أخلاقه وسعة علمه .

وقد حاول بعض النقاد أن يقلل من القيمة العلمية لكتابه « الكامل في التاريخ » بحجة أن ابن الأثير قام باختصار كتاب « الرسل والملوك » للطبري ، ولكن العالم الألماني « بروكلمان » دحض هذا الرأي ، وبرهن على أن ابن الأثير مؤرخ له مكانته العلمية ، وأنه أضاف مادة جديدة « لكتاب الرسل والملوك » . وقد تمكن بروكلمان من مقارنة نصوص ذكرها الطبري بنظيراتها في الكامل وتمكن من معرفة المصادر التي اعتمد عليها ابن الأثير في إضافاته وزياداته .

ومما يلاحظ من اختلاف بين الكامل وبين تاريخ الطبري [illegible] يلي :

١ – تمكن ابن الأثير من أن يتحلل من كثير من الإسناد ، ففي عصر الطبري كان الإسناد أمرا مهما ، ولكننا نلاحظ أن ابن الأثير لم يحذف الإسناد نهائيا ، فقد استعمله في الكلام عن حياة الخلفاء .

٢ – اختزل ابن كثير من الخطب والخطابات التي أوردها الطبري ولكنه لم يحذف المراسلات التي تكشف عن التاريخ السياسي لعصر من العصور .

ولكي يبرهن بروكلمان على أن ابن الأثير اعتمد على مصادر أصلية غير « تاريخ الرسل والملوك » بين ما أخذه عن ابن هشام ، وما أخذه عن الواقدي ، وما أخذه عن المدائني ، وما أخذه من البلاذري ، وذكر في نهاية بحثه أن كثيراً مما نقله إلينا ابن الأثير من تاريخ العرب في أسبانيا وأفريقيا لم يذكره الطبري في تاريخه .

محمد أحمد حسين

المسرحية الثانية للفرقة القومية

يوم القيامة

مسرحنا في حاجة إلى مُلَح القصص التي تقتطع له قطعة حية من صميم روح الشعب وأخلاقه وعاداته. ولا مفرّ من الاعتراف بأن هذه الروح تبدو هشة مفتتة. أوَ كان ذلك لأنها بطبيعتها سطحية التيارات، أم لأننا لم نفلح إلى الآن في سبر أغوارها والوصول إلى أسرارها؟ من أجل هذا أو ذاك، اقتصرت معظم المسرحيات الشعبية على نوع من قصص تعتمد كل الاعتماد على التهريج وحشد أكبر عدد ممكن من الشخصيات الهزلية لفظاً أو تصرفاً وملبساً. أفليس في حياة الشعب إذن شيء من الجد؟

لم ينصف هذا الشعبَ أحد كما وصفه الجبرتي، وهو سليل أسرة نشأت في أواسط إفريقيا — الجبرت هي زيلع — جذبها النيل فيما جذب [illegible] القريب يصبح أصدق مثل لابن البلد [illegible] الذي يعشق القاهرة، ولا يجدها حياته إلى الريف، يخالط كبراءها وعوامها ويقيد حدث قصورها وأكواخها، جداً وهزلاً. كل كلمة منه تصدر عامرة بالحب والحنان والعطف. لقد مرت على هذا الشعب أحداث كثيرة وتطورات هامة، ومع ذلك لا تزال الخطوط الرئيسية التي رسمها الجبرتي قائمة إلى اليوم. أهذا علامة على ضعف هذا الشعب أم على قوته؟

روى لنا عبد الرحمن بن حسن الجبرتي في أسطر قليلة (ج ١ ص ١٤٧) كيف شاع في القاهرة ذات يوم أن القيامة قائمة يوم الجمعة السادس والعشرين من ذي الحجة «فودع الناس بعضهم بعضاً ويقول الإنسان لرفيقه: بقي من عمرنا يومان. وخرج الكثير من الناس الخلائق إلى الغيطان والمنتزهات ويقول بعضهم لبعض: دعونا نعمل حظ ونودع الدنيا قبل أن تقوم القيامة»

كم من قارئ مرت عيناه على هذه الأسطر فاستصغرها ولكن — الأستاذ صبري فهمي — فطن إلى ما بها من حيوية وخلق منها أفقاً زاخراً بالألوان، رسم عليه بعد ذلك — ولا قيمة للرسم في مثل هذه اللوحة الرائعة — قصة ساذجة عن قدوم ابن سر تجار الشام وزواجه من ابنة سر تجار مصر.

وقد سبق للفرقة أن أخرجت هذه القصة في الأعوام الماضية فكان إخراجها ظاهراً غير موفق لانعدام فرقة الأناشيد عندئذ — ثم إذا بها تبرز من جديد هذا العام — كأنها مسرحية جديدة — ووراءها مجهودات جبارة: حوار لبيرم التونسي الذي يأنف له نبوغه أن تخضع ألفاظه لتطور الزمن، وألحان لزكريا أحمد المخلص لشرقيته، من حب لها أو عن صدود عن غيرها ... وغناء لفتحية أحمد التي يتمثل في صوتها الخلق المصري بما له وما عليه ... ومن وراء هؤلاء [illegible] الأستاذ زكي طليمات المخرج الأول للفرقة.

ورغم هذه الجهود خرج كثير من النظارة وهم يقولون إن الفرقة القومية هبطت إلى ميدان لم تكن تتوقع أن [illegible]

ولكن أمام الأستاذ طليمات طريقان: أحدهما شاق يعتمد على تأكيد الجو الشعبي للمسرحية بحيث تكون استعراضاً صادقاً لطوائف الشعب وحركاته واضطرابه وتذكير الناظرين بما يوشكون أن ينسوه؛ وطريق آخر أسهل من ذلك بكثير، وهو التهريج الخالص ومحاولة إثارة الضحك لسبب أو لغير سبب، والاعتماد على شخصيات مضحكة لا قيمة لها في القصة وإنما أقحمت فيها إقحاماً، وهذه الشخصيات تضر أكثر مما تنفع؛ لأن الجمهور وإن ضحك أثناء التمثيل لا يلبث أن يستفيق إذا انصرف فيرى أن الضحك إنما كان على ذقنه ... وماذا تقول إذا رأيت هذه القصة الشعبية تصبح وليس بها شخصية واحدة — واحدة فحسب — ليست هزؤاً وسخرية وهزلاً؟

نحن نلمس في الأستاذ طليمات — وبالأخص منذ إخراجه لمسرحية شهرزاد — ميلاً متطرفاً، وأخشى أن أقول — ميلاً طبيعياً — إلى الهزليات «بوفونوري Buffonorie»

صحيفة الفكر :

١ — سندباد عصرى
و
٢ — سندباد قديم

للدكتور حسين فوزى

— ٢ —

أمضينا أسبوعاً سابقاً مع « السندباد العصرى » فهل نمضى هذا الأسبوع مع « السندباد القديم » . ولكننا لن نعبر إليه هـذه القرون وحدنا ، فدليلنا فى صحبته هو السندباد العصرى نفسه ! وهو دليل حصيف ، مزوّد بالعلم الحديث ، والكشوف الجغرافية ، والبحوث التاريخية ، فوق ما علمنا عنه فى المقال الأول من يقظة الروح الفنية ، وتنبه الحس والعاطفة ... وتلك جميعها أدوات تجعل رحلتنا إلى « السندباد البحرى » فى « ألف ليلة وليلة » رحلة مأمونة وممتعة ، مع دليل أمين !

وقبل أن نوغل فى هـذه الرحلة ، يجب أن نكشف للقراء — مقدماً — عن برامجها واتجاهها ، كما رسمها لنا دليلنا « السندباد العصرى » فى كتابه « حديث السندباد القديم » .

كلنا قد عشنا مع « السندباد البحرى » فى جو « ألف ليلة وليلة » فترة من حياتنا — إن لم يكن عن طريق القراءة فعن طريق السماع — وكلنا ذاق حلاوة هذه الفترة السابحة فى الأحلام ، الحالقة فى الجواء ، السارية فى البحار . وكلنا قد حبس أنفاسه مع « السندباد البحرى » وهو فى مغامراته المهلكة ، ولحظاته الحرجة ؛ ثم تنفس الصعداء معه وهو ينجو فى اللحظة الأخيرة ؛ ثم استراح واطمأن عليه وهو يبلغ مأمنه ؛ ثم عاد يتابعه من جديد فى رحلة جديدة لا يدرى ماذا تخبئ له فيها الأقدار !

ولكن أحداً منا لم يحاول أن يخرج من جو الأحلام ،

وقد يستساغ هذا اللون مدة وفى موضعه . أما أن يصبح وسيلته الوحيدة لمعالجة القصص [illegible] من السقوط ، فأمر فيه نظر ؛ إذ لا نود له كفنان أن يكون متأثراً بالجانب التجارى فى الفرقة القومية وإن كان الربح المادى لا يزال عندنا أصدق دليل على نجاح أى عمل فنى . وكنا نرجو أن تظل له عين يقظة على الرسالة التى يجب على الفرقة أن تؤديها إذ لا يحسن أن يطغى الجانب التجارى على الجانب الفنى كل هذا الطغيان .

حبذا لو بقى فى يوم القيامة لون واحد من ألوان الجدّ ليكون قوتها فى القافلة بين هزل الحوادث وجد العوامل الخطيرة والدوافع الكامنة التى تحرك هذا الشعب وتنفخ فيه . وهذه القافلة التى كان خليقاً بها أن تكون روح القصة وسرّ قوتها ضاعت وانقلبت المسرحية كلها هزلا رخيصاً فى هزل رخيص .

نقول للأساتذة الفنانين الذين يدرسون فى أوربا إن [illegible] والحرص كل الحرص على البراعة ليس له [illegible] كما يظنون . فنحن لا نطالب براعته ، بل فهما ، والطريق الوحيد لفهم مصر ، هو الحب والتقدير .

وبعد ، فقد استعانت الفرقة القومية على إخراج هذه المسرحية بأفراد كثيرين لا يمتون إلى المسرح بصلة ، وقد لفت الأنظار راقصة بارعة ، وشاب فى موكب دق الطبول ، وقال الكثيرون لو وجد هذا الشاب وهذه الفتاة من يتعهدهما ألا يصبحان يوماً من مهرة الراقصين يقدمون المسرح عندنا — كما فى أوربا — والقصص الراقصة ؟ « الباليه Ballet »

ونحن نرجو أن يكون من بعض اهتمام القائمين بأمر الفرقة أن يمدوا أبحاثهم الحساسة لتلمس العناصر الصالحة للمسرح فى أوساط شعبية بعيدة عنه ، فلا شك أنها ستعثر عندئذ على كنوز كثيرة فى هذه الأرض العذراء .

نجى ...

ويخرج معه السندباد . نعم لقد حاول كثير من الباحثين – معظمهم من المستشرقين – أن يبحثوا من تاريخ قصص ألف ليلة وليلة وأن يتتبعوا تدرجها ، وأن يفحصوا من الخصائص التاريخية والعقلية واللغوية التي تؤيد في هذا التتبع . ولكن هذا كله كان شيئاً غير الذي نعنيه ، وهو ما صنعه الدكتور « حسين فوزى » في كتابه الأخير[1] .

فوجهة الكتاب كله ، هي الكشف عن المواد الخامة التي صاغ منها مؤلف قصة السندباد البحرى هذا القصص الجميل .

ثم بيان مدى القدرة الفنية في صياغة هذا القصص الفنى من تلك المواد الخامة التي كانت في متناول الجميع إذ ذاك ، فلم يتفقوا بها مثل هذا الانتفاع .

وقد بلغت صفحات هذا الكتاب سبعين وثلاثمائة صفحة استنفدها المؤلف جميعاً في البحث عن أصول القصص البحرية في « ألف ليلة وليلة » دون سائر قصصها ، ثم شاءت له روحه العلمية وتقديره الصحيح لمهمته أن يقول عن بحثه بعد ذلك :

« رحلة خيالية في الزمان والمكان ، لم أقم بها إلا بين الطروس والمحابر ، وصفحات المجلات الدقيقة . فكان هذا الكتاب .

« لا هو من العلم كله ، ولا هو من الأدب كله . صفته من صفة مادته ، وإقليمه نوعاً كإقليمه موضوعاً . هو بين العلم والأدب ، كموضوعه بين الواقع والأساطير . للعلماء أن يقذفوا به إلى مجامع أهل الأدب ، والأدباء أن يلقوا به في أضابير العلماء . هو عيال عليهم جميعاً .

« لو أردته بحثاً علمياً لقانى من العلوم كثير : تقويم البلدان ، والتاريخ ، « والفولكلور » وعلم اللغات المقارن ، وفحص المخطوطات ، ومقابلة النصوص . ولو أردته بحثاً أدبياً لأعوزنى ما يتحصن به بحاثة الأدب من دراسة اللغة : تاريخها وأجروميتها وبيانها وبديعها ، واضطلاع كامل بآدابها ، وفهم اللهجات ، وموازنة للأساليب :

« لم يبق لى بين هذا وذاك غير شيء من العلم البحر وأحيائه وأمواجه وتياراته وقيعانه ونوءه وشواطئه ، وحب صادق له ، واطلاع عام على الأدب الخاص به ، وخبرة شخصية ببعض أرجاء البحر الشرقى الكبير ، موضع عناية البحريين والجغرافيين وكتاب العجائب وأرباب القصص ممن ألفوا في العربية بين القرن التاسع والقرن الخامس عشر الميلادى .

« ليس زهداً في التواضع أن أقول ما أنا قائل ، هى الحقيقة الصراح أن من يتصدى لمثل موضوع هذا الكتاب لا يمكن أن يكون رجلا واحداً ، إلا أن يجمع فى واحد ما عددناه من أبواب العلم والمعرفة .

« والتاريخ النازف في عصرنا لم يعد يسمح بالشخصيات الانسكلوبيدية » .

ونقرأ هذه الفقرات في نهاية الكتاب بعد أن ترى الجهد الكبير المبذول في تناياه ، فيروعك هذا التحرج الكريم ، وتكبر لك الثقة بهذا الدليل الأمين . ثم يعن لك أن تغتبط بأن المؤلف لم يكن غير ما كان ! فلقد كان « السندباد البحرى » مع قصصه الجميل خليقاً أن يختنق بين يديه لو كان من العلماء المتخصصين للبحث العلمى . كما كان خليقاً أن يفوته هذا الكشف والتوضيح لو كان مؤلفنا فناناً فحسب يعيش في جو الأحلام .

هذا كتاب لابد منه بين بين ، فالحمد لله على أن قيض له مؤلفنا بهذا الاستعداد !

* * *

ولكننا لم نفصل ما أجملناه من برنامج الكتاب واتجاهه . فالت القصص البحرية في كتاب ألف ليلة وليلة وهى بحسب تدرجها وا كتمالها في استيفاء صفة « القصة البحرية » : « القرندل الثالث . حسن البصرى . عبدالله البرى وعبد الله البحرى . السندباد البحرى » على أسس من الخرافات والأساطير ومن الحقائق والوقائع ، التي كانت

(١) ظهر حديثاً في هذا الاتجاه كتاب « ألف ليلة وليلة » للدكتورة سهير القلماوى وسنفرد له حديثاً خاصاً .

متعارفة فى زمن تأليفها عن البحار الشرقية ، وكان فضل مؤلف هذه القصص ، هو حسن استخدام هـذه الخامات المتعارفة وصوغها فى القالب الفنى الذى تتجلى فيه مقدرته .

هذه هى الحقيقة الأولى التى يريد مؤلف « حـديث السندباد القديم » شرحها وإثباتها . وهى فى صورتها هذه قد تبدو مهمة سهلة ، أو تبدو جدواها قليلة ، ولـكن هذا الفهم أو ذاك خطأ لا شك فيه ، وخطأ مبعثه الأول هو حسن العرض والتلخيص لهذه الحقائق الكبيرة . وكثيراً ما يجنى تيسير الحقائق وحسن عرضها على تقديرها فى عيون الناس ! ! !

فأما أنها مهمة سهلة فلا . فلقد استغرقت غربلة الحقائق والأساطير التى كانت شائعة بين القرن التاسع والقرن الخامس عشر عن البحار الشرقية فى كتب الرحلات وكتب الجغرافية وكتب العجائب ثمانيا وسبعين ومائة صفحة من الكتاب ، يبدو فيها الجهد الواضح فى مراجعة عشرات من هذه الكتب ، وفى تعليل الأساطير التى كانت تروى عن الظواهر البحرية إذ ذاك تعليلا علميا ونفسيا .

وفى هذا التعليل كانت تبدو من المؤلف روح العطف على الإنسانية الجاهلة المشدوهة لعجائب البحر فى ذلك الزمان ، وهذه الروح هى التى يلذ للقارىء أن يتابعها ، وأن يلمح الفنان من ورائها كما يلمح العالم فى كيان رجل واحد ينظر بعين تجمع بين السماحة والدقة ، وبين العلم والفن .

وهى تتجلى فى تتبعه وتعليله للحقائق والأساطير حول « الرخ ، والتنين ، وشجرة الوقواق ، وجزائر النساء ، وبنات الماء ، وشيوخ البحر ، والعنبر واللؤلؤ ، والعنبر والبال » . تلك التى وردت فى القصص البحرية فى ألف ليلة وليـلة ، كما وردت فى كتب العجائب والجغرافية سواء بسواء .

وطريقته فى تمحيص هذه الحقائق والأساطير هى كما يقول : « المفروض أن كتاب « عجائب الهند » وكتب القزوينى والتاجر سليمان وغيرها تقرر وقائع لا أن تجمع خرافات .

ولـكن بعض الحوادث أو الوقائع التى تذكرها تلك الكتب صعبة التصديق ، إلى حد يبعثنا على الحذر فى الحكم عليها . وهذا الحذر يجب أن يكون ذا حدين ، فمن أسهل الأمور علينا أن نهمل ما لا نصدقه ، ونطرحه جانبا على أنه خرافة أو مغالاة ، كما أن من أسهل الأمور على العوام حينما يسمعون بتلك الوقائع أن يصدقوها ، وأن يعملوا على إذاعتها . إلا أننا إذا اتجهنا هذا الاتجاه أخطأنا فهم الكثير مما تواترد على ألسنة الرحالة والجغرافيين ومؤلفى كتب العجائب من العرب وغيرهم . . .

« فلا أقل من محاولة فهم الواقعة أو الخبر المعروض أمامنا عنها . وإلا فلنلق بكل تلك المؤلفات العربية فى النار ، وهو ما يكاد يفعله المعاصرون من أهل الغيرة على الشرق ممن يقتصرون من الآداب العربية على الاهتمام ببعض الشعر والرسائل والنثر المسجع وغير المسجع ، تاركين للمستشرقين مهمة نشر طائفة هامة من مخطوطات المكتبة العربية وشرحها وتصحيحها ، وهى تحوى ما لا يقل عن ثلاثة أرباع تراث العالم من الحضارة الإسلامية .

« واصدق الحذر وأجداه فى رأينا أن نفرض أولا الصدق فيمن وضعوا وجمعوا وألفوا كتب المسالك والممالك ، والعجائب ، والرحلات ، منذ القرن التاسع حتى القرن الرابع عشر الميـلادى ، وأن نضع أنفسنا موضع هؤلاء الكتاب الذين لم يصل إلى علمهم ما تناهى إلينا من معرفة بالظواهر الكونية ، والمخلوقات التى تعيش فى الهواء أو فوق سطح الأرض ، أو فى طبقات الماء . . .

« إن خبرتى الشخصية بالأثر الذى تتركه فى النفوس بعض ظواهر الحيـاة البحرية حتى عصورنا المتقدمة ، عصور العلم والعرفان ، وصلتى بالصيادين فى أكثر من ساحل ، وسماعى بأخبار البحار وسكانها من من أفواههم ، بل من أفواه بعض المتعلمين ، واطلاعى على أحاديث البحار وفى كتب القدماء والمحدثين . . . كل هذا مؤدٍ لى أن أكون أكثر تسامحا وأقرب فهما

لحكايات البحريين في القرون الوسطى ، وسبيلي ألا أحكم على الأسطورة البحرية بالكذب ثم أنام هادئاً ، إنما أضع نفسي موضع من رأى الحيوان أو الظاهرة الكونية . وأن أكيف عقلي تبعاً لعقليته ، فأستعرف إما يعرف ، وأتجاهل ما يجهل ، ثم أحاول أن أتصور أثر المنظر الغريب في نفس العربي أو الفارسي من أهل القرن التاسع . ذلك مجهود ذهني غير يسير ، ولكنه قليل بالقياس لما أحصل عليه من نتائج حين أكشف الواقع خلف الأساطير » .

وهكذا استطاع المؤلف أن يطلعنا على ما كان رائجاً في هذه العصور عن البحار ، وتتبع نشأته وتطوراته ، فرز الحقائق ، وعلل الأساطير بما كان يتراءى من الظواهر الكونية وما يعلمه الناس عنها ، وما يخيل لهم حين يرونها ، وما يغريهم بالزيادة فيها ، وفي خلال ذلك رد إلينا التاج عما سماه بحق « ثلاثة أروع تراث العالم من الحضارة الإسلامية » .

حتى إذا انتهى من عمله الأول في هذا كانت الحقائق والأساطير التي حوتها القصص البحرية في ألف ليلة وليلة مكشوفة أمامنا ، وكان منهج مؤلف هذه القصص معروفاً لنا . فنحن نعلم من أين استقى مواده الخامة ، وكيف صاغها ، فنستطيع إذن أن نحكم على عمله حكماً فنياً مستكمل الأدوات والأسانيد . وهذه هي قيمة الجزء الثاني وجدوى كشف المواد التي صاغ منها المؤلف عمله كفنان .

ولكننا لا نخرج بهذا أو ذاك وحده من « حديث السندباد القديم » .

إن المؤلف وهو يعرض لنا صورة البحر في نفوس الرحالة ومنهم الشرقيون ومنهم الغربيون قد كشف لنا من حيث شاء أو لم يشأ عن وحدة الإنسانية في استهوال الطبيعة ، وفي خيالاتها وأساطيرها الناشئة من هذا الاستهوال ، فليس الإغريق وحدهم هم الذين يصوغون عذارى البحر وجنيات الطبيعة ، بل إن للشرقيين كذلك عرائس بحورهم وجنيات طبيعتهم . والإنسان هو الإنسان — على اختلاف في ألوان الأحاسيس — حينما يقف أمام الطبيعة المهولة ، يحس بكبرها وعظمتها ، فلا تغنيه الحقائق المحدودة في إشباع إعجابه بها وتقديسه لها ، فيفسح لخياله العنان ، ويرضي بذلك شعور الاستهوال والاستعظام .

وإن المؤلف — وهو يحاول تلخيص وعرض القصص البحرية في « ألف ليلة وليلة » — قد كشف لنا عن موهبة قصصية في نفسه ، ولا أبالغ إذا قلت إن تلخيصه وعرضه قد أبدى لنا هذه القصص في صورة لا تقل عن صورتها في ألف ليلة وليلة ، بل إنها لتفوقها أحياناً . وإني لأكاد أقترح عليه أن يفرغ لعرض ألف ليلة كلها في مثل هذا الأسلوب على مثال ما صنع « تشارلس لام » في قصص شكسبير ! ولا غضاضة في أن أسرق الفكرة وأخرجها لحسابي الخاص !

وأمر ثالث يلاحظه من قرأ « سندباد عصري » ثم عاد يقرأ « حديث سندباد قديم » ذلك أن الأسلوب في الثاني أصح وأقوم ، وقد خلا من الترخص في التعبير الذي لوحظ بعضه في الكتاب الأول ، وخلا من الأغلاط التي كانت تبدو هنالك ، لأن تحري الصحة فيها كان مستطاعاً بجهد قليل .

* * *

وأخيراً يجب أن نقول : إن لنا أن نسجل لا مجرد تقديم كتابين للمكتبة العربية ، بل تقديم كاتب بأكمله إلى هذه المكتبة ، له خصائصه البارزة ، وله مقدرته التي لا شك فيها ، في نوع خاص من التأليف .

سيد قطب

الوداع

مدى إلى يد الوداع إلى دنوت من الزماع
وابكى كما أبكى على عهد من السلوى مضاع
قربى إلى وطوقى نى باليدين وبالذراع
وتأملى تجدى النيا بع من فراقك وارتياعى
وتمجى ممن تحط مه الصبابة وهو ساع
نوحى على الأمل الفتى ء يغيب عنا بعد ساع
والحلم من أحلامنا يمضى إلى غير ارتجاع

ما بين ماضينا وحا ضرنا اختلاف واتفاق
بالبين أكل حبنا وجد تضرم واشتياق
ومدامع الأفراح حا لت فهى للشكوى تراق
وابتزنا تلك الأما نى الحبيبة الفراق
وعلمت أنا بالحيا ة إلى منيتنا نساق
فليمن نوم الدهر به ذلك أن رقدته نفاق
ما يستمر وفاقه إلا [illegible]

حسمت حياة الحس ا ذنا وأبصار السكا[illegible]
وتحكمت فينا منذ يلات المسامع والعيان
للروح ما نهوى! فغ ل الجسم يسرح فى أمان
وبها يقاس هناؤنا لا بالدقائق والثوانى
نلنا من الدنيا الري ضة ما كفاك وما كفانى
فليمض كل هادئا وجدانه ثبت الجنان
ونمش سويا فى النوى بألذ من عيش التدانى

أبقى على الذكرى حجا با ليس ينقذه الخيال
وتمتعى بصدى عبا ب الطبيعة والجمال
وخذى لقلبك ما يجي د فما لنا عنى مآل
إن البقاء على تفا دعة التى هو الضلال
والحب — عاش الحب — مذ ل الدهر حل وارتحال
فانسى زمانا طاب فى ه لنا التنعم والوصال
لولا يد النسيان ما راقت لأهل الأرض حال

ميلى إلى حيث التقي نا فى حبور وانشراح
وأشدى مع الصداح ها تفة بأنغام الصباح
وهناك إذ رقد الهوى ال موءود رقدة غير صاح
جودى على مهد اللقا ء بما عهدت من السماح
فضى مكان وقوفنا عبق الشقائق والأقاح
واحبيه لو يصحو من ال حلم القديم بكأس راح
وليحظ منك بنظرة عند الغدو أو الرواح

وإذا وقفت كما أر د فلا يخامرك الحنين
ماذا يدوم بقوت عه د كله طرب ولين
ولئن أفاق الدهر فى ه فمن طبيعته الجنون
فاسى على صرح وإن راقت تخطفه العيون
وصلى حبال الحب وا قسمات بالبشرى تبين
تبدو الأحزان عند ك وإن تجشمت الشجون
هذه الحياة كما نحب لها لأنفسنا تكون

ورقى عودى إذا ما الصيف أزهر جانباه
ربيا الأسى مسبوحا لا الورد فيه ولا شذاه
[illegible] السكا ر شماله وكبت صباه
فهناك روحى يستقر بحيث لا عين تراه
ويشوف ترب الحب حي ث أحيل مرقده الإله
وهناك تلتصق القلو ب وإن تباعدت الشفاه
وينال من حرم السه ادة من أحببته مناه

سأعود — فانتظرى — إذا عفت الجهالة صرح فنى
وتهدم البنيان من وى الحب والصبوات منى
ومضى وراء السمع ما يشدو هواى وما يغنى
سأعود حين أعف عن قبس الحياة المطمئن
وأصد عن قبل الشبا ب وإن بذلت بغير من
إذ لا نفيد من الصبا بة غير أوهام وظن
سأعود فى برد الخيا ل وفى جلابيب التمنى

صبرى (السودان) رضا

طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — بشارع الكرداسى رقم ٩ بعابدين — مصر